

53
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
بقلم : روبرت هينلاين
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق
غريب في أرض غريبة

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



(روبرت هاينلاين Heinlein) كاتب خيال علمى أمريكى ولد فى (ميسورى) عام 1907 ، وتوفى عام 1988 ، يعتبر هو و(أزيموف Asimov) و(آرثر كلارك Clarke) الزوايا الثلاث لمثلث أدب الخيال العلمى الراقى . وقد فاز بجائزة (هوجو) التى تقدم لأفضل قصص العام عن قصصه (نجم مزدوج ـ 1956) و(دورية النجوم ـ 1960) و(غريب فى أرض غريبة ـ 1962) و(القمر عشيقة فظة ـ 1967) .

نشرت أول قصة له (خط الحياة) عام 1939 ، وكان أجره عنها سبعين دولارًا . ومن يومها كتب بغزارة اضطرته إلى اختلاق عدد من الأسماء المستعارة ؛ لأن المجلات ما كانت لتقبل نشر قصتين للمؤلف نفسه فى العدد ذاته .

كانت كتاباته تمتاز بالخصائص الثلاث الأساسية لأدب الخيال العلمى : حبكات مصممة جيدًا ـ وشخصيات حية ـ وجدل

علمى جيد . وكان يتمتع بدقة علمية كبيرة ، مما مكَّنه من مزج العلم بالخيال بجرعات مختلفة .

من أهم إضافاته لأدب الخيال العلمى : إدخال علوم لم تناقش من قبل ، مثل : الإدارة ، والسياسة ، والاقتصاد ، واللغويات ، والوراثة ، وما وراء علم النفس .. وهكذا صارت أعماله بذرة الموجة الجديدة فى أدب الخيال العلمى . وتعتمد قصصه كلها علي الحوار (مقاطع طويلة جدًا منه) أكثر من السرد ، فتتكلم شخصياته كبشر لا كشخصيات خيالية .

كان نجاحه ساحقًا منذ البداية ومنذ نشر قصته الأولى ، وقد دوَّن أفكاره فى خطة تدعى (تاريخ المستقبل) . وجاهد كى يجعل المستقبل ذا مصداقية كالحاضر .

من الناحية الصحية كان معتلَّ الصحة ، يتمتع بقائمة أمراض ، منها الدرن الذى أدَّى لإعفائه من البحرية . عمل فى أثناء الحرب العالمية الثانية فى تصميم بذلات تتحمل الضغط العالى . وكانت زوجته الثانية مكسبًا حقيقيًا له ؛ لأنها كانت ملازمًا فى البحرية ، تتكلم سبع لغات ، وخبيرة بالكيمياء الحيوية .

بين العامين 1948 و 1962 كتب قصص خيال علمى للشباب ، لا تختلف عن كتاباته للبالغين إلا فى نقطة استبعاد

أية تلميحات جنسية ، وجعله الأبطال مراهقين دائمًا . وكانت لهجة المعلم عالية فى تلك الكتيبات ، لكن من دون أن يفسد القصة ذاتها . فى الوقت ذاته قدَّم (هاينلاين) عناوين مهمة مثل (سادة الدمى ـ 1951) و(الباب المفضى إلى الصيف ـ 1957) و(النجم المزدوج ـ 1956) .

تحولَّت قصته (تلميذ الفضاء ـ 1948) إلى مسلسل تليفزيونى ، ومن قصته (الصاروخ جاليليو ـ 1947) خرج الفيلم الشهير (الهدف القمر ـ 1950) الذى اعترف علماء كثيرون فى ناسا NASA بأنه جعلهم يختارون هذه المهنة ، ولهذا كرَّمته ناسا . هناك عديد من الأفلام السينمائية جاءت من كتبه ، أقربها لنا هو (الكوكب الأحمر) الذى عرض فى مصر منذ ثلاثة أعوام .

فى عام 1949 وعلى سبيل الدعابة ، اقترح قراء مجلة خيال علمى شهيرة أسماء لقصص تنشرها المجلة ، واتصل رئيس التحرير به طالبًا أن يكتب قصة خيال علمى ـ بصرف النظر عن موضوعها ـ يكون اسمها (الخليج) .. هكذا جلس مع زوجته يفكِّران فى الأحداث بالأسلوب المعروف بـ (عاصفة الدماغ) . هنا فكَّرت زوجته فى تقديم نسخة خيال علمى من شخصية (موجلى) .. بطل (كتاب الأدغال) ..

الطفل البشرى الذى ربّته الحيوانات .. ماذا عن بشرى ربّته كائنات فضائية ؟ تجاهل الكاتب الكبير الفكرة وقتها وكتب عن شىء مختلف تمامًا ، وإن ظلت الفكرة فى مفكرته عدة أعوام .. هكذا ولدت قصة (غريب فى أرض غريبة Stranger in a Strange land) عام 1962 . ولسوف تكون هذه القصة أهم قصصه وأفضلها ، لقد ناقش فيها كل شىء عن العالم الغربى .. ويعتقد كثيرون أنها نتاج طبيعى لاضطراب المجتمع الغربى فى الستينات .. لكن الغريب أن الهيبى وجدوا قدوتهم فى هذه القصة ، وعاملوها كأنها كتاب دينى .

يقال عن هذه القصة : إنها دستور الثقافة المضادة .. وإنه من الصعب أن يعيش المرء فى العالم الغربى دون أن يتشرب منها شيئًا حتى لو لم يكن قد قرأها قط ؛ لأن الهواء نفسه يفوح بها ، وقد أضافت القصة مصطلحات جديدة للغة الإنجليزية منها Grok ، وهى لفظة مرّيخية أصلاً بمعنى (الفهم الشامل) ، بل إن هناك كنائس أقيمت باسم (كنيسة كل العوالم) نتيجة لصدور هذه الرواية ، على أن (هاينلاين) نفسه ينفى أن تحوى قصته أية إجابات تقدم للعقول الكسولة ، إنما هى مليئة بالأسئلة التى تدعونا إلى أن نفكر ، بقى أن نعلم أن هذه القصة هى الأعلى مبيعًا فى تاريخ أدب الخيال العلمى .

ابتكر (هاينلاين) كذلك مفهوم (العالم كأسطورة World-as-Myth) الذى يتصوَّر أن كل كون هو فكرة فى خيال مؤلف فى كون آخر . وفى قصته (رقم الوحش ـ 1980) جعل أبطال قصصه المختلفة يلتقون ، بل يقابلون أبطال قصص لمؤلفين آخرين ، كما ناقش هذه الفكرة فى كتاب (القطة التى تعبر الجدران ـ 1985) .

كان (هاينلاين) أول كاتب خيال علمى عاش بالكامل من قلمه ، وأول كاتب خيال علمى وضع هذا النوع من الأدب فى قوائم أعلى المبيعات ، واليوم ننقله لأول مرة فى هذه السلسلة .

★ ★ ★

الجزء الأول

عن أصله المختلط

1

ذات مرة حين كان العالم فى بدايته ، كان هناك مريخى يدعى (سميث) .. كان (فالنتين مايكل سميث) حقيقيًا مثله كمثل الضرائب ، لكنه كان نسيجًا وحده .

تم اختيار أول حملة من (تيرا)[*] إلى المريخ ، على أساس أن الخطر الأكبر على الإنسان فى الفضاء هو الإنسان ذاته ، وفى هذا الوقت المبكر ـ ثمانية أعوام من تأسيس أول مستعمرة بشرية على (لونا) ـ فإن أية رحلة بين الكواكب كانت تتم فى مدارات رتيبة لها شكل القطع الناقص مزدوج التماس .. 258 يومًا من (تيرا) إلى المريخ ، والشىء نفسه للرجوع ، بالإضافة إلى 455 يومًا على المريخ ، بينما الكوكبان يزحفان لموضعيهما التقريبيين اللذين يسمحان برسم مدار القطع الناقص ثنائى التماس ، وهو ما يعنى ثلاثة أعوام أرضية .

كانت الرحلة طويلة جدًا ومحفوفة بالمخاطر ، وكان على التابوت البدائى الطائر المعروف باسم (المبعوث) أن يتزوَّد

(*) يستعمل هذا الاسم للدلالة على الأرض ..

بالوقود من محطة فضائية ، وكان عليه كى يتمكن من العودة ألاَّ يتهشَّم فى أثناء الهبوط على المريخ ، وأن يجد الماء من أجل خزانات التفاعل ، وأن يجد نوعًا من الطعام على المريخ ، وألاَّ يحدث خلل فى آلاف التفاصيل الأخرى .

لكن الخطر المادى كان أقل من الخطر النفسى .. ثمانية بشريين متزاحمين كالقردة ثلاثة أعوام .. كان عليهم أن يتحمَّلوا بعضهم أفضل مما يفعل البشر عامة ، وقد ثبت من تجارب سابقة أن الطاقم المكون من الذكور فقط ليس مستقرًا اجتماعيًا ، لهذا تقرَّر أن يكون هناك أربعة أزواج على السفينة بحد أقصى .. وقد راحت جامعة (أدنبرة) تحلل القدرات المطلوبة للرحلة لدى عدد هائل من المتطوعين ، مع إجراء اختبار تكافؤ ، كان الكابتن (مايكل برانت) هو الملاح ، ويبدو أن هناك من ساعده فى المؤسسة كى يجد رفيقة للسفر .. وقد راحت أجهزة الحاسب الآلى تبحث بعناية ، وهذا يفسر سفره إلى أستراليا ليطلب الزواج من دكتورة (وينيفريد كوبرن) ، وهى عانس لها وجه يشبه الحصان ، وتسبقه فى العمر بتسعة أعوام .

كان الطاقم يملك مجموعة متكاملة من الخبرات ، وإن كان أكثرها قد اكتسب فى أثناء التدريب المكثف فى الأسابيع الأخيرة قبل الإطلاق ، بالإضافة لهذا كانوا متوافقين فى الأمزجة .. ربما متوافقين أكثر من اللازم .

أقلعت (المبعوث) فى الموعد المحدد بـلا مشـاكل ، وفى الجزء الأول من الرحلـة كـانت رسـائلها اليوميـة تلتقـط بلا عسر ، وبدا أن الطاقم سعيد وبصحـة جيدة ، كـان وبـاء القراع العسلى هو أسوأ شىء اضطر د. (سـميث) للتعامل معه ، ولم يحتج أحد من الفريـق لتعاطى العقـاقير المضـادة للغثيان .

ثم وصلت (المبعوث) إلى المدار الذى تتوقَّف عنـده فى مـدار القمـر (فوبوس) ، وأمضت أسبوعين فـى المسـح الفوتوغرافى ، ثم أرسل كابتن (برانت) رسالة بالراديو :

ـ «سوف نجرب الهبوط الساعة 1200 بتوقيت جرينتـش غدًا .. جنوب (ليكاس سولى) .. »

ولم تصل أية رسالة أخرى بعد هذا .

★ ★ ★

2

مر ربع قرن آخر إلى أن زار البشر المريـخ ثانيـة ، بعد ستة أعوام من صمت (المبعوث) ، تم إرسال مسـير يوجـه باللاسلكى بلا طيـار ، اسـمه (زومبـى) تُموِّلـه الجمعيـة الجغرافية والجمعية الفلكية الدولية ، وقد اتخذ مدارًا لفترة انتظار معينة ثم عاد ، وكانت الصور التى أرسلها المسير تبيِّن عالمًا غير رحب للبشر على الإطلاق ، إلا أن المسير (زومبى) أظهر بوضوح أن القنوات على سطح المريخ ، تم حفرهـا بعمل هندسى معين ، وثمة ما يبدو كخرائب مدن ، وبالتـأكيد كـان البشر سيرسلون حملـة أخرى لـو لـم تنشـب الحـرب العالمية الثالثة .

أفاد هذا التطور الأخير فى أن الحملـة التى انطلقت بعد هذا كانت أفضل كفاءة وتجهيزًا ، بطاقم كله من خيرة الملاحين الذكور انطلقت الرحلـة ، وهبطت المركبـة عنـد (ليكـاس سولى) .

كانت المركبة تبعث إشاراتها للأرض يوميًا ، إلا أن ثلاث رسائل كانت جديرة بما هو أكثر من الاهتمام العلمى ، كـانت الرسالة الأولى تقول :

ـ « وجدنا السفينة (المبعوث) .. لا أحياء .. »

الرسالة الثانية التى هزّت العالم كانت تقول :

ـ « المريخ مسكون .. »

أما الثالثة فتقول :

ـ « تصحيح الرسالة 105-23 .. هناك ناج واحد من (المبعوث)[*] .

* * *

(*) لن نعرف الكثير مما حدث هنالك .. فقط سنعرف أن (مايكل) هو ابن طبيب السفينة الذى ربّاه المرّيخيون بعد هلاك البعثة .

3

كان الكابتن (ويليام فان ترومب) رجلاً يتمتّع بحسٍ إنسانىٍ عالٍ . وقد أبرق يقول :

ـ « إن المسافر الذى معى .. أكرر .. المسافر الذى معى لا يجب أن يتعرّض لضغوط الاستقبال الشعبى الصاخب .. أعدوا وسائل مواصلات أحادية الجاذبية .. ومَحَفَّة وخدمة إسعاف وحرسًا .. »

وأرسل طبيب السفينة د. (نلسون) للتأكد من نقل (مايكل سميث) بلطف على فراش مائى ، وحمايته بوساطة رجال البحرية ، حينما تم وضع (فالنتين) على المحفّة كان وزير العلوم يقول مشاكسًا :

ـ « من المفهوم يا كابتن أن سلطتك على ما كان حتى اللحظة حملة علمية ، تعطيك الحق فى طلب رعاية طبيةٍ غير معتادة ، أو طلب حراسة ، لكنى الآن لا أفهم لماذا تتدخّل فى شئون إدارتى الخاصة .. إن (سميث) كنز مهم للعلم .. »

ـ « أعتقد هذا يا سيدى .. »

ـ « إذن لماذا ؟ »

ثم قطع كلمته ، واستدار إلى وزير السلام والأمن العسكرى وقال :

ـ « (ديفيد) .. هلاَّ أصدرت أوامرك لهؤلاء القوم ؟ لايمكن أن يترك المرء أشخاصًا من وزن البروفسور (كنيدى) والدكتور (أوكلجيما) ينتظرون .. هذا ليس على سبيل الحصر طبعًا .. »

نظر الوزير متسائلاً إلى الكابتن ، لكن هذا هزَّ رأسه :

ـ « لا يا سيدى .. »

ـ « لماذا يا كابتن ؟ »

ـ « (سميث) ليس على ما يرام .. لم يجرِّب من قبل مجالاً أحادى الجاذبية .. إنه يزن الآن أكثر مما كان مرتين ونصفًا .. وعضلاته لم تعتد هذا .. لم يعتد أى شىء أرضى ، وعلى الأرجح سيكون الجهد كبيرًا عليه .. بحق أجراس الجحيم أنا نفسى متعب يا سادة ، برغم أننى ولدت على هذا الكوكب .. »

قرَّر الكابتن أن يكون خشنًا ، وقد قدَّر أنه حتى الوزير لن يستطيع أن يكون فظًّا مع قائد أول رحلة أرضية تصل إلى المريخ . هكذا قال بعصبية :

ـ « ألا تريان أنه ليس بشريًّا ؟ »

ـ « فسر لنا يا كابتن .. »

ـ « ليس بشريًّا .. إنه كائن ذكى يحمل جينات البشر ، لكنه ليس بشريًّا .. إنه مرِّيخى أكثر منه بشريًّا .. وحتى اللحظة التى قابلناه فيها لم يكن قد رأى بشرًا قط .. يحسب نفسه مرِّيخيًّا ويشعر كالمريخيين .. لقد ربَّاه جنس يختلف بالكامل عنا .. إنه إنسان بالجينات ، لكنه مرِّيخى بالبيئة .. لو أردتم أن تدفعوه للجنون فأحضروا علماءكم منتفخى الرءوس .. لاتمنحوه فرصة للتحسن .. اعتصروه كبرتقالة .. لا تعطوه فرصة كى يعتاد مستشفى المجانين هذا .. »

ساد الصمت حتى قال وزير العلوم :

ـ « لو لم يظهر فى وسائل الإعلام لعم الشغب .. الناس ينتظرون أن نعرض عليهم كائنات مرِّيخية ، فإن لم نفعل كان علينا أن نريهم هذا الـ (سميث) .. »

قال الكابتن :

ـ « لاجدوى من عرضه ، ولن يحب الناس ما سيرون .. المشكلة فى التفاهم مع المرِّيخيين أنك تشعر بأنك تتعامل مع صدى .. لا تلقى اعتراضًا لكنك لا تتلقى إجابات كذلك .. »

ـ « مشكلة لغوية ؟ ربما كان عليك أن تحضر عالم لغوياتك .. لقد نسيت اسمه .. أو هو ينتظر بالخارج ؟ »

ـ « (محمود) يا سيدى .. لا .. (محمود) ليس على ما يرام .. انهيار عصبى بسيط .. »

ـ « دوار الفضاء ؟ إذن هاته حين يصير بخير .. »

كان (سميث) فى هذا الوقت منهمكًا تمامًا فى محاولة البقاء على قيد الحياة ، كان جسده مضغوطًا ليناسب الفضاء غير المعقول فى هذا المكان .. وقد أراحته نوعًا نعومة المأوى الذى وضعه فيه هؤلاء الآخرون ؛ لهذا وجّه مستواه الثالث إلى نبضه وتنفسه ، لقد لاحظ أنه يستهلك قواه وأن رئتيه تعانيان ، ونبضه يتسارع ، وأن حرارة الجو تخنقه .

حين هبط بسرعة قلبه إلى عشرين فى الدقيقة ، وصار تنفسه غير محسوس ، ضبطهما على هذا المعدل ، وراح يراقب نفسه ، ثم بدأ يركز المستوى الثانى على الحرس .

من أين يبدأ ؟ منذ ترك الوطن ؟ أم منذ وجد نفسه فى هذا الفضاء المهشم ؟ لقد هوجم فجأة بالأضواء والأصوات لدى الوصول ، وهو يشعر بهذا ثانية ، بألم لا يوصف ، يعود بذاكرته للوراء .. قبل التئام الجرح الذى أحس به يوم أدرك أنه يختلف عن إخوته فى العش .. يعود لذكرى العش ذاته .

لم يكن أى من أفكاره يتعامل برموز الأرض .. كان قد تعلّم بعض الإنجليزية ، لكنه يستعملها بصعوبة كأنه رجل هندى ،

يحاول التفاهم بها مع رجل تركى ، كان يستعمل الإنجليزية كما يتعامل المرء مع كتاب شفرة ، مجهدًا نفسه لترجمة كل رمز ، لقد اختلفت ثقافة المرّيخيين كثيرًا جدًا عن ثقافة البشر .

فى الغرفة المجاورة كان هناك طبيب مقيم يدعى (تاديوس) يلعب (الكريبج) مع (توم ميتشوم) الممرض .. وكان (تاديوس) ينظر بعين واحدة إلى العدادات والمؤشرات ، وعينين على أوراق اللعب ، لهذا حين رأى ضوءًا ينذره بأن سرعة النبض قد هبطت من 90 إلى أقل من 20 فى الدقيقة ، فإنه ألقى بالأوراق وجرى إلى الغرفة والممرض خلفه .

كان (سميث) يطفو فى الفراش المائى وقد بدا كالميت ، أطلق (تاديوس) سبة وهتف :

ـ « اطلب دكتور (نلسون) ... »

هرع الممرض خارجًا .. بينما تفحّص الطبيب المقيم المريض بعناية ، وإن حاول ألا يلمسه ، أخيرًا جاء طبيب أكبر سنًا يمشى بذلك الخرق المميز لرجل قضى فترة طويلة فى الفضاء الخارجى ، وسأله :

ـ « حسن يا دكتور ؟ »

ـ « لقد هبط نبضه وتنفسه وحرارته فجأة منذ دقيقتين يا سيدى .. »

ـ « وماذا فعلت له ؟ »

ـ « لا شىء يا سيدى .. تعليماتك .. »

ـ « أحسنت صنعًا .. »

وتفحّص (سميث) ثانية ، ثم قال :

ـ « أخبرنى لو جدّ جديد .. »

وغادر المكان ، فصاح الطبيب المقيم محتجًا ، لكن (نلسون) قال له :

ـ « استرخ يا بنىّ .. لقد رأيت هذا المريض فى هذه الحالة ست مرات فى أثناء العودة .. هذا لا يعنى شيئًا .. »

ورفع ذراع المريض اليمنى وتركها ، فظلّت حيث هى ، سأله (تاديوس) :

ـ « هل هو (كاتاليبسى Catalepsy) ؟ »

ـ « سمّه ما تريد .. إن تسمية الذيل قدمًا لا تجعله كذلك .. لا تقلق .. لا يوجد شىء معتاد فى هذه الحالة .. »

شعر (سميث) بزيارة الأطباء ، لكنه فهم أن نواياهم حميدة(*)..

(*) استعملت ترجمة (يفهم / يستوعب) للتعبير عن فعل Grok المريخى ، والذى يتكرر كثيرًا جدًا فى هذه القصة ، وهى ترجمة غير دقيقة لكنها المخرج الوحيد الممكن لى . لفظة Grok تعنى الفهم الكامل من دون استعمال المنطق ، والذى قد يصل إلى التهام الشىء (لتستوعبه) .

بدأ نبضه وتنفسه يعودان للمستوى العادى ، وقد شعر بوجود كائن حى فى الغرفة معه ، شىء طويل الأقدام كان يهبط من السقف ويدور حول نفسه ، وقد راقبه (سميث) فى ابتهاج ، وتساءل إن كان هذا شكلاً من أشكال أفراح الإنسان .

هنا دخل د. (آرثر) الطبيب المتقدم فى العمر الذى يساعد (تاديوس) وقال :

ـ « صباح الخير .. كيف الحال ؟ »

أدار (سميث) السؤال فى ذهنه .. كان يعرف أن الجملة الأولى نوع من الأصوات الشكلية ، التى يمكن الرد أو عدم الرد عليها ، أما الجملة الأخرى فكانت تحمل أكثر من ترجمة فى ذهنه .

شعر بعدم الراحة المعتاد مع تلك الكائنات ، لكنه حاول أن يفرد جسده وقال :

ـ « أنا بخير .. »

ـ « د. (نلسون) سيكون هنا خلال دقيقة .. هل لك فى الإفطار ؟ »

كان (سميث) يفهم الرموز فى الجملة الأخيرة ، لكنه لم يصدق أنه سمع ما سمع ، كان يعرف أنه نوع من الطعام (إفطار) ، لكنه لم يعرف كيف (يكون له فى الإفطار) .. هل معنى هذا أنه قد يتم اختياره للالتهام ؟ لم يتصور قط أن يحظى بهذا الشرف الكبير بهذه السرعة ..

جاء د. (نلسون) وفحصه ، ثم سأل عمّا إذا كانت هناك حركة معوية ، فكانت الإجابة لا ..

ناولوه سلطانية طعام وأطعموه ملعقة أو اثنتين ، ثم ناولوه الملعقة ليأكل بنفسه ، وقد أشعره هذا بالفخر ؛ لأنه أول عمل يقوم به منذ جاء هنا ..

الآن كان عليه أن يجلس وينهض .. يمشى .. ثم قاموا بإفراغ الفراش من الماء قليلاً ؛ ليجرِّب جسده الضغط .. على كل حال كان يثق بالدكتور (نلسون) .

كانوا قد قصُّوا شعره وشاربه .. لكن أهم شىء كان وجهه الخالى من التعبير الشبيه بوجه طفل ، بعينيه اللتين كان يناسبهما أكثر وجه عجوز فى التسعين ، جرَّب أن يمشى خطوة .. خطوتين .. ثم توقف وابتسم ابتسامةً مشرقة طفولية ، فصفق (نلسون) :

ـ « ولد طيب ! »

فجأة سقط ، فاستطاع الطبيبان بمعجزة أن ينقذاه قبل أن يهوى أرضًا ، وكان قد اتّخذ وضع الجنين ، لذا لاقوا الأمرين كى يعيداه إلى الفراش . وقال (نلسون) :

ـ « حسن .. سنكرر هذا عصرًا وغدًا .. ثم نبدأ التمرينات بشكل منتظم .. بعد ثلاثة أشهر سيتأرجح بين الأشجار كالقرد . فلا توجد مشكلة معه .. حين يُفيق علِّمه استخدام الحمام وليكن الممرض معك .. لا أريده أن يسقط أرضًا .. »

جاء موعد الغداء فأكل (مايكل) وحده .. هنا دنا منه العامل ليحمل الصينية ، وهمس فى أذنه :

ـ « اسمع .. لدى لك صفقة سمينة .. فرصة لتحصل على مال كثير . »

ـ « مال ؟ ما هو (مال) ؟ »

ـ « دعك من الفلسفة .. سأتكلَّم بسرعة .. أنا أمثِّل مجلة (بيرلس فيتشرز) .. سوف ندفع لك ستين ألفًا مقابل أن تخصنا بقصتك .. كل ما عليك أن تجيب عن أسئلة ، وهم سيصنعون من الإجابات مقالاً .. هيا وقِّعْ هنا لأن المبلغ معى .. »

ثم ناوله ورقة ، فتفحصها (سميث) وأمسكها بالمقلوب ..

- « يا الله ! ألا تعرف كيف تقرأ الإنجليزية ؟ »

- « لا أعرف .. »

- « حسن .. سأقرؤها عليك ، وبعدها تبصم بإبهامك وأشهد أنا على ذلك .. أقرُّ أنا (فالنتين مايكل سميث) أننى أمنح الحقوق الكاملة لقصتى الحقيقية لجريدة (بيرلس فيتشرز) ، كى تنشر قصتى تحت اسم (كنت سجينًا فى المريخ) . »

- « أيها العامل . »

كان هذا هو د. (فريم) الذى وقف على الباب ، فأخفى العامل الورقة فى جيبه ونهض ..

- « ما الذى كنت تتلوه من ورقة ؟ »

- « لا شىء .. »

وهكذا خرج الرجلان ، ولنصف ساعة ظل (سميث) ينظر للسقف .. لكن برغم الجهد الذى بذله ، لم يستطع أن يفهم الموضوع على الإطلاق .

* * *

4

طلب (بن كاكستون) الصحفى أن يقابل صديقته الممرضة الحسناء (جيل بوردمان) بعيدًا عن المركز .. (جيل) ممرضة فضولية تسلَّلت ذات مرة إلى (سميث) لتراه ، وقد أثار فضولها أن تعرف أنه لم ير امرأة فى حياته .. لم يَخْوِ لقاؤها مع (مايكل) أى جديد فيما عدا براءته الشديدة ، وقد بدا لها أقرب إلى طفل ..

تم لقاء (كاكستون) مع (جيل) بعيدًا عن المركز .. هذا هو الطريق الوحيد لعدم إثارة الشبهات .. فلقاء صحفى وممرضة فى هذه الظروف من الكتمان يعنى الكثير .. إن كليهما يجلب الشبهة على الآخر .. كأن أحدهما مصاب بالجذام أو هما معًا .. وعرفت أنه يريد منها أن تجلب له بعض معلومات عن ذلك القادم من المريخ .. وقال لها :

- « هذا الـ (سميث) مهم جدًا .. أنت لا تعرفين أنه هو وريث المريخ ! »

قالت فى دهشة :

- « لابد أننى ثملت يا (بن) .. أستطيع أن أقسم إنك قلت إن هذا الغريب يملك كوكب المريخ ! »

ـ « إنه يملكه فعلاً .. لقد حافظ على الإقامة فيه بلا شريك للفترة المطلوبة قانونيًا .. (سميث) هو ملك المريخ .. رئيسه .. الهيئة المدنية الوحيدة فيه .. لقد جاء إلى الأرض لكنَّ حقَّه ما زال محفوظًا فى المريخ .. »

ـ « مذهل .. »

ـ « الآن أنت تفهمين لماذا يهتم كثيرون بـ (سميث) ومعرفة من هو ، ومن أين جاء .. ولماذا تتستَّر عليه الإدارة .. إنه كذلك مواطن أمريكى ، لهذا هو مزدوج الجنسية .. طريقتهم فى إبقائه بعيدًا عن الاتصالات غير قانونية ، لكنه لا يعرف حقوقه .. والآن هل تسمحين لى بمقابلته ؟ »

ـ « لقد أثرت هلعى .. ما كنت أعرف هذه التفاصيل .. لو كانوا قد أمسكوا بى هذا الصباح وأنا فى غرفته .. »

ـ « ما كانوا ليؤذونك .. فقط يضعونك فى زنزانة مبطنة مع شهادة جنون من ستة أطباء .. وربما سمحوا لك بتلقِّى البريد كل عامين .. هذا الرجل مهم جدًا ؛ لأنه يمثل كنزًا علميًا .. ربما هو أكثر أهمية من (نيوتن) و(أينشتاين) و(كبلر) لو خلطتهم معًا .. ثم هو سفير بيننا وبين الجنس الوحيد العاقل الذى قابلناه حتى اليوم .. هل أنت واثقة من أنك لن تساعدينى على التسلل ؟ »

ـ « بالطبع لا .. سوف ألتحق بالدير .. »

دخل غرفة فى مسكنه ثم عاد لها حاملاً جسمًا يشبه السيجار فى حجمه وشكله ، وقال :

ـ « على كل حال ما كنت لأكلفك بهذا العمل الخطر .. لكن هل تقبلين زرع أداة التنصت هذه ؟ »

ـ « لكنى أخاف دخول تلك الحجرة ثانية .. »

ـ « لا داعى .. إن لهذه الأداة أذنى حمار .. ألصقيها بالبلاستر إلى جدار أية غرفة ملاصقة .. استعملى القفازات قبل لمسها لأنها محرَّمة قانونًا .. لا تدعى أحدًا يمسك بك وهى معك .. »

أضيئت الغرفة ، فقد جاءت سيارة التاكسى الآلية التى طلبها فى الموعد .. قالت له :

ـ « أنت رائع يا (بن) .. تساعدنى على أن أعيش حياة الجريمة التى كنت أتوق لها .. ربما أقبل الزواج منك لو كررت عرضك .. »

ـ « العرض مفتوح دائمًا .. »

* * *

لم تكن عملية غرس أداة التنصت عسيرة .. دخلت على المريض فى الغرفة المجاورة ، وثبتت الأداة فوق رف ، بينما هى تثرثر مع المريض كيف أن العاملات لا ينظفن جيدًا .. وظلت تسجل ما يدور بالغرفة بضعة أيام ، وكانت ترسل ما يتم تسجيله يوميًا إلى (بن) .. ثم انتزعت الجهاز واتجهت إلى شقته .. كانت تشعر أن جهاز التنصت يحرق ثغرة فى جيبها .. كادت تتكلم حين قابلت (بن) الذى كانت تحبه فعلاً ، لكنه همس فى أذنها :

ـ « لاتقولى شيئًا .. لا أسماء ولامعلومات .. من المحتمل أن أكون مراقبًا أنا نفسى .. »

اقتادها لغرفة الجلوس ، وبدون كلمة ناولته الجهاز .. أدرك أنها تتخلى عن المهمة ، لكنه لم يقل شيئًا .. فقط ناولها طبعة المساء من جريدة (بوست) .. وقال لها :

ـ « هل رأيت الجريدة ؟ ربما تحبين أن تقرئيها بينما أغتسل .. »

وأشار إلى عمود .. وها هى ذى أدركت أن هذا هو العمود ذائع الصيت الذى يكتبه فى الجريدة ..

عش الغراب

بقلم بن كاكستون

يعرف الجميع أن الزنزانات والمستشفيات تشترك فى شىء واحد .. كلاهما تصعب مغادرته .. وأحيانًا ما يكون السجين أقل عزلة عن العالم الخارجى من المريض ، يمكن أن يستدعى السجين محاميه ، ويمكن أن يطلب شهودًا عدولاً ، ويمكن أن يطالب بالإعلان عن سبب سجنه(*) habeas corpus .. لكن فى حالة مريض المستشفى تكفى فقط لافتة (ممنوع الزيارة) ، يطلب تعليقها أحد أطباء القبيلة ، كى يغيب مريض المستشفى فى غياهب النسيان أكثر من (الرجل ذو القناع الحديدى) .

يستطيع أقارب المريض أن يزوروه ، لكن هذا الرجل المريخى ليس له أقارب .. لم تكن لطاقم (المبعوث) نكد الحظ روابط مع الأرض ، ولو كان للرجل المريخى أقارب يرعون مصالحه ، فإن عدة آلاف من المحققين الصحفيين (مثل كاتبكم الحالى) قد فشلوا فى العثور عليهم .

من يتكلم باسم الرجل المريخى ؟ من أمر بوضع حرس مسلح

(★) قاعدة فى القانون الرومانى معناها باللاتينية (أظهروا الجثة) .. أى (أخبروا المتهم بتهمته أو أطلقوا سراحه فورًا) ..

من حوله ؟ أنا أسألك يا سيدى الأمين العام .. ما المرض المعدى الذى يعانى منه هذا البائس حتى يمنع الجميع من مجرد رؤيته ؟ إن الكلام عن (الإجهاد العام) لا يقنع أحدًا ، وإلا استطاعت ممرضة أن تؤدى العمل خيرًا من الحرس المسلّحين .. هل هذا المرض اقتصادى الطابع ؟ أو فلنقل بشكل أرق : هل هو سياسى ؟

راحت (جيل) تقلّب الجريدة ، فهى لم تكن تهتم بهذه التعقيدات السياسية .. عاد (بن) من الداخل ، ووضع فى حجرها تفريغًا للأصوات التى التقطتها أجهزة التجسس ، وقد أشار إلى الأصوات باسم (الصوت الأول) أو (الصوت الثانى) .. إلى أن يعرف أسماء المتكلمين ، وكانت أغلب التسجيلات بلا قيمة سوى أنها تخبرك أن (سميث) يتم إطعامه أو تحميمه ، وكل هذا تحت إشراف من أسماه (بن) باسم د. (نلسون) .

فجأة جاء تسجيل غريب من نوعه .. وكان كما يلى :

د . نلسون : هناك من يريد لقاءك يا (سميث) ..

سميث : من هو ؟

د . نلسون : إنه كبيرنا ..

سميث : جميل أن أقابل كبيركم .. أريد أن أتعلم وأن أنمو ..

د . نلسون : فى الحقيقة هو سيوجه لك أسئلة .. بمساعدة (محمود) المترجم صديقك ..

سميث : أنا لا أستطيع أن أعلم الكبير ..

د . نلسون : لا تقلق بهذا الصدد ..

يظهر صوت جديد واضح أنه صوت الأمين العام .

د . نلسون : هذا هو كبيرنا يا (سميث) .. سيتحدث معك ..

الأمين العام : هل سيفهم كلامى ؟

د . نلسون : نعم .. لكن أنصحك بأن تستعمل كلمات وحيدة المقطع قدر الإمكان ..

الأمين العام : حسن .. والآن أنا أرغب فى أن تتركنى وحدى معه ..

د . نلسون : لا يمكن يا سيدى .. إن الأخلاق الطبية تمنع أن يتم استجواب مريضى فى غيابى ..

الأمين العام : أنا لا أفهم هذا الهراء عن الأخلاق الطبية .. أنا محام وسأتكلم كمحام .. هل طلب منك المريض أن تعنى به ؟ هل أعطاك تفويضًا رسميًا لعلاجه ؟

د . نلسون : لا يا سيدى ..

الأمين العام : إذن ليس من حقك الاعتراض على انفرادى به ..

د . نلسون : لكن يا سيدى ..

الأمين العام : لا تأخذ الموضوع بهذا الشكل .. لنفترض أننى القريب الوحيد له الآن .. هل تمنع الأم من الانفراد بصغيرها ؟

د . نلسون : لا يا سيدى .. سأغادر الغرفة ، لكننى أرغب فى أن تسند مهمة العلاج لشخص غيرى ..

الأمين العام : لن أعتبر هذا القرار نهائيًا ، ولسوف نناقشه فيما بعد ..

تخفت الضوضاء ويبدو أن الأمين العام انفرد بالمريض .

الأمين العام : هل تجيد الكتابة ؟ لا ؟ إذن يمكنك أن تبصم على ورقة ..

سميث : لا أفهم يا سيدى ..

الأمين العام : أريد أن تعلن عدم امتلاكك لشىء معيّن .. لنضع الأمر بهذا الشكل : أنت لا تملك المريخ ..

سميث : لا أفهم يا سيدى ..

الأمين العام : أنت راغب فى البقاء هنا .. أليس كذلك ؟

سميث : لا أعرف .. لقد أرسلنى الكبار إلى هنا (**صوت غريب كأنه ضفدع أمريكى يقاتل كلبًا**) ..

الأمين العام : اللعنة ! كان عليهم أن يعلموه المزيد من الإنجليزية .. اسمع يا بنى .. لا تقلق بصدد التفاصيل .. فقط هات إبهامك ؛ لأضع بصمتك أسفل هذه الورقة .. لا تخف .. لن أؤذيك ! دكتور ! دكتور (نلسون) !

طبيب آخر : دكتور (نلسون) ليس هنا يا سيدى .. لقد رحل .. قال إنك أخذت الحالة منه ..

الأمين العام : هو قال هذا ؟ اللعنة عليه ! هلم لا تقف هكذا ! ألا ترى أن الفتى يموت ؟ أعطه تنفسًا صناعيًا أو احقنه بشىء ما !

الطبيب الآخر : لا أعتقد أن علينا عمل شىء يا سيدى .. فقط دعه حتى يفيق وحده .. هذا ما يقوله د. (نلسون) ..

الأمين العام : سحقًا لدكتور (نلسون) !

سميث : لا أفهم يا سيدى ..

هنا جاء (بن) حاملاً المزيد من التسجيلات .. ولكنه لم يعرضها عليها .. فقط سألها :

ـ « جائعة ؟ »

ـ « أموت جوعًا .. »

ـ « إذن لنخرج ونظفر بشىء يؤكل .. »

وفى الخارج صعد على السطح ، واستوقف سيارة (تاكسى) طائرة كتب عليها (بالتيمور) ، وركباها .. قالت له :

ـ « لماذا لم تطلب سيارة تاكسى من شقتك ؟ »

ـ « لو كنت أنا أراقب الحكومة ، فمن الوارد أن تراقبنى هى .. إن احتمالات أن يرسلوا (تاكسى) مفخخًا لى أمر وارد ، لكن التاكسى الذى نركبه قد اخترته بشكل عشوائى .. من الصعب أن يتحسبوا ويضعوا فيه أجهزة تنصت .. »

قالت فى رعب :

ـ « (بن) .. أنت لا تعتقد أن ... »

ـ « أنا أتوقع كل شىء .. صحيح أن واجب المعارضة هو أن تعارض ، لكن هذا الموضوع مهم .. لقد وجّه مقالى ضربة حساسة للحكومة .. اتهمتها بأنها تحتجز سجينًا سياسيًا بدون وجه حق .. أنا أعتبر الحكومة كائنًا حيًا .. وككل كائن حىّ لديها غريزة عمياء تدفعها للحياة .. هاجميها ولسوف ترد بعنف .. وهذه المرة أنا وجهت ضربة قوية للحكومة .. »

لم تكن تتصور نفسها فى موقف كهذا .. بالنسبة لها كان أعنف ما مر بها هو حرب العصابات المرحة بين الجنسين .. وهى قد رأت الكثير من العنف فى مهنتها كممرضة ، لكنها لم تتخيل قط أن يوجّه هذا العنف لها ..

قال لها :

ـ « لو ساءت الأمور أكثر من اللازم ، فلا تنسى اسم (جوبال هيرشو) .. إنه الرجل الذى يعرف كيف يساعدنا .. »

★ ★ ★

5

كان (بن كاكستون) قد أعد عدّته للتسلُّل إلى (فالنتين مايكل سميث) ..

الحقيقة أن أحداثًا معينة جعلته يتخذ هذا القرار .. لقد ظهر (فالنتين) على الشاشة مع الأمين العام .. وقد شكر الحكومة على جهودها وكان ودودًا .. لم تكن هناك سوى مشكلة واحدة هى أنه ليس هو ! نعم .. استطاعت (جيل) أن تدرك هذا ، برغم أنها لم تر (مايكل) إلا مرة واحدة .. فإنها لم تكن لتخطئ تمييز وجهه الطفولى الغريب .. لقد تم اختيار ممثل يشبهه ليواجه الإعلام ..

أدرك (بن كاكستون) أن وراء هذه الخدعة الحكومية سرًا ما .. إما أن (مايكل) قد مات .. ربما قتل ، وهو حل لابأس به ؛ لأن معنى موته من دون ورثة ، هو أن ترث الحكومة ثروته ، التى هى كوكب المريخ بالكامل .. وإمّا أن الحكومة نقلته إلى مكان لن يرى فيه النور أبدًا .. وهنا فقط قرَّر أن يتسلل لمقابلة (مايكل) .. لن يكون وحده هذه المرة ، بل سيصحب محاميًا وشاهدًا عدلاً .. ولسوف يواجه الحرّاس بحقيقة أن منعهم له جريمة يعاقب عليها القانون ؛ لأنه ليس من حق الحكومة منع الصحفيين من مقابلة مريض فى المستشفى ..

كان محظوظًا ؛ لأنه أقنع (جيمس أوليفر كافنديش) بأن يكون شاهده .. كانت للرجل مكانة عظيمة إلى حد أن الأمر لن يحتاج إلى محام .. لقد شهد أمام المحاكم العليا الفيدرالية عدة مرات ، ويقال إن رأسه يحوى وصايا لا تقدر بالبلايين بل التريليونات .. كان يلبس الأبيضٍ من ذقنه إلى أخمص قدميه كما تقضى مهنته ، وقد ذكر منظره (بن) بتمثال الحرية .. إن الشهود العدول مهنة خاصة فى هذا العالم ، وهم أشخاص يتمتعون بذاكرة فوتوغرافية ، ولديهم قوى نفسية معينة .. لقد ناقش (بن) الأمر مع المحامى أولاً ، ثم اتجها لمقابلة الشاهد العدل .. وكما تقضى القواعد ، لم يناقشا معه ما يتوقعان أن يراه ..

أوصلتهم سيارة الأجرة إلى مركز (بيثيدا) ، حيث أخرج (بن) بطاقته للسكرتيرة ، وقال إنه راغب فى مقابلة المدير .. سألته إن كان عنده موعد ، فاعترف بأن لا .. قالت :

- « إننى أخشى أن فرصتك محدودة جدًا .. ما هى مهنتك ؟ »

قال بصوت عال ليسمعه الجميع :

- « فقط قولى له إن (كاكستون) صاحب (عش الغراب) هنا ومعه شاهد عدل ومحام ، وهو هنا لاستجواب (فالنتين مايكل سميث) الرجل الآتى من المريخ .. »

أصابها الذهول للحظة ، ثم استعادت توازنها ، وطلبت منه فى برود أن يجلس ..

فى النهاية عادت ملكة الجليد الجالسة خلف المكتب وأعلنت :

ـ « مستر (بيركويست) سيقابلك .. »

كان يعرف أنه أحد الحمقى العاملين مع الأمين العام .. مهمته التخلص من الزوار ، لذا قال :

ـ « أريد الأمين العام نفسه .. أنا هنا أمثل الصحافة ومائتى مليون قارئ .. لو لم يكن بوسعى مقابلته ، أرجو أن تعلنوا هذا بصوت عال ، وقولوا لى سلطتكم القانونية للرفض .. إن هناك إشاعات قوية تقول إن الرجل الذى ظهر فى التليفزيون المجسم أمس كان زائفًا .. »

هكذا اضطروا إلى أن يسمحوا له بالدخول مع رفيقيه .. اجتازوا مجموعة من البوابات والحرس .. فى النهاية بلغوا غرفة معتمة الإضاءة ، ونصحهم الطبيب المعالج (تانر) بألا يفرطوا فى الأسئلة ، حتى لا يدخل الفتى حالة تشنج ..

ـ « هى ليست صرعًا .. يسهل على رجل الشارع أن يحسبها صرعًا ، لكنها شىء يختلف .. »

ـ « هل هى نوبات (الكاتاليبسى) ؟ »

ـ « لا أعرف .. »

ودنا (كاكستون) من الفراش ، ليجد أن هناك رجلاً شاحبًا يطفو هناك فى فراش مائى ، وقد غطس نصف جسده فى الجلد البلاستيكى .. وقد نظر لهم ، لكنه لم يقل شيئًا .. وظل وجهه خاليًا من التعبير ..

على قدر علم (بن) كان هذا الرجل ذاته الذى رآه فى التليفزيون المجسم أمس .. وقدَّر أن (جيل) العزيزة بنواياها الحسنة قد ورطته فى تهمة تشويه سمعة ، قد تؤدى به إلى الإفلاس ...

ـ « هل أنت (فالنتين مايكل سميث) ؟ »

ـ « حتى الآن .. »

ـ « الرجل من المريخ ؟ »

ـ « حتى الآن .. »

ـ « وهل كنت فى التليفزيون المجسم أمس ؟ »

هنا تدخل الطبيب :

ـ « لا أحسبه يفهم معنى الكلمة .. »

ثم سأل (مايكل) :

ـ « (مايكل) .. هل تذكر ما فعلته مع الأمين العام أمس ؟ »

قال الوجه المريخى :

ـ « أضواء كثيرة .. تؤلم .. »

قال (كاكستون) :

ـ « فهمت .. هل يعاملونك جيدًا هنا يا (مايكل) ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « هل يمكنك أن تمشى ؟ »

ـ « عضلات ضعيفة .. »

ـ « حسن .. سأعمل على أن يحضروا لك كرسيًا متحركًا ، ولسوف تخرج وتذهب إلى أى مكان تريد .. ألست رجلاً حرًا ؟ »

قال الطبيب فى عصبية :

ـ « لا أسمح لك بالتدخل فى أمر مريضى .. »

كان (كاكستون) يفكر بعمق .. من الجلى أن (جيل) كانت مخطئة .. لكن لا .. لم تكن مخطئة .. ثمة شىء ما خطأ ، لكنه لا يستطيع تبينه ..

ـ « (مايكل) .. أمس وجّه لك الأمين العام بضعة أسئلة .. مثلاً سألك عن رأيك فى الفتيات على الأرض .. متى رأيت فتيات على الأرض ؟ »

اختفت الابتسامة من على وجه المريض .. شخصت عيناه لأعلى ، ثم اتخذ الوضع الجنينى ، وثنى ركبتيه إلى صدره وحتى رأسه وثنى ذراعيه ..

صاح الطبيب وهو يتحسس معصم المريض :

ـ « فلتخرجوا من هنا ! »

قال (كاكستون) :

ـ « نعم .. كنا خارجين على كل حال .. لكنّ لى سؤالاً واحدًا لك .. الفتى مسجون هنا ، فكيف ومتى رأى فتيات ؟ »

ـ « هل تمزح ؟ رأى ممرضات وفتيات .. »

ـ « لكن على قدر علمى لا يتعامل معه إلا ممرضون رجال .. والفتيات ممنوعات منعًا باتًا من الدخول هنا .. »

ـ « لا تكن سخيفًا .. أنت رأيت فتاة معه أمس على شاشة التليفزيون المجسم .. »

هكذا صمت (كاكستون) وسمح لهم باقتياده إلى الخارج ..

فى الخارج قال له المحامى :

ـ « لا أعتقد أن الأمين العلم سيقاضيك مادمت لم تنشر شيئًا .. لكن لابد من دليل قوى إذا أردت أن تتعامل مع إشاعات .. »

قال (كاكستون) :

ـ « كيف لنا أن نعرف أن هذا هو (مايكل سميث) نفسه ؟ »

ـ « هـه ؟ »

ـ « نحن رأينا رجلاً في فراش .. لاشىء إلا تأكيد الطبيب وكلمته لاتساوى شيئًا .. إن مهنة هؤلاء القوم هى الإنكار .. ثم إننى لا أحسبه طبيبًا أصلاً ؛ فهو لم يبد فاهمًا لمصطلح (كاتاليبسى) .. هل رأيتم أو سمعتم أى شىء يؤيِّد أن هذا هو رجل المريخ ؟ »

أعلن الشاهد العدل أنه يريد الانصراف ، مادامت مهمته انتهت ، لكنه قال لـ (كاكستون) :

ـ « ثمة شىء كنت أتمنى لو لاحظته .. (الكاللوهات) فى قدميه .. لى بحث عن هذا الموضوع فى (مجلة الشهود) .. لو كان هذا الفتى مريخيًا لوجدت حالة قدميه تدل على ذلك ، مادام لم يلبس أحذيتنا قط ، والجاذبية هناك ثلث جاذبيتنا .. »

ـ « يا للشيطان ! لماذا لم تخبرنى بهذا ؟ يجب أن نعود إلى المستشفى .. »

ـ « لأن هذا لا يتفق مع حياد الشهود .. ويؤسفنى أننى

مادمت قد ذكرت لك هذا ، لم أعد صالحًا كشاهد عدل .. يجب أن تجد غيرى .. »

قال المحامى وهو ينصرف مع الشاهد :

ـ « فكر فى أبسط الحلول .. أعتقد أن الرجل الذى رأيناه هو فعلاً رجل المريخ .. »

راح (كاكستون) يفكر .. ليس الرجوع للمستشفى سهلاً .. مرتين فى يوم واحد .. لن يستطيع اجتياز الحرس حتى لو تنكر كعامل أو ممرض .. ولكن ماذا عن طبيب ؟ د. (نلسون) .. طبيب السفينة .. هو الوحيد الذى يستطيع تمييز إن كان هذا هو (مايكل سميث) أم لا ..

اتصل من التاكسى بدكتور (نلسون) ، لكن هذا الأخير لم يعطه فرصة .. الرجل لم يكن راغبًا فى مناقشة الموضوع على الإطلاق ..

جرَّب الاتصال بعدة جهات ، وكان يزداد عصبية وعدوانية فى كل مرة .. كان هذا خطأً فادحًا ؛ لأن سيارة التاكسى الأوتوماتيكية شعرت بذلك ، ويبدو أنها تلقَّت تعليمات من جهة عليا ما ؛ لأن أبوابها انغلقت عليه .. وانقطع الاتصال بأية جهة .. ثم انطلقت به إلى جهة مجهولة .. أما هو فلم يعرف إلا أنه فقد الوعى ..

★ ★ ★

6

كانت (جيل) قلقة ؛ لأن (كاكستون) لم يتصل بها طيلة هذا الوقت ، وقد كان رجلاً لا تفوته التفاصيل الصغيرة .. سألت عنه فى الجريدة ، فلم تجد من يعرف مكانه .. اتجهت إلى المستشفى وبدأت تمارس عملها ..

كان أحد الأطباء يجلس أمام شاشة يراقب عليها مريضة مسنة .. مريضة ترقد فى فراشها ، وقد اندهشت (جيل) من كل هذا الاهتمام بحالة مستقرة أصلاً ..

غلبها الفضول الأنثوى فقررت أن تلقى نظرة على العجوز .. لاحظت أن مفتاحها الذى يفتح كل الأقفال لا يفتح هذا القفل بالذات ، وهكذا تحايلت حتى أقنعت الطبيب بترك المرقاب ، على أن تتولى هى المراقبة ، وحصلت على مفتاح الطبيب وتسللت إلى الحجرة .. لم يكن هناك ما يريب .. إلا أنها اكتشفت أن هناك حجرة جانبية .. قررت أن تلقى نظرة داخلها .. فكانت المفاجأة أنها تحدق فى عينين برينتين تعرفهما جيدًا .. إنه الرجل القادم من المريخ نفسه !

لقد صار كل شىء مفهومًا .. اللقاء التليفزيونى الملفق ، والمفتاح الذى لا يفتح هذه الحجرة بالذات ، والطبيب المقيم

الذى يراقب بكل هذا الاهتمام حالة لا خطر منها .. لقد نقلوا (مايكل) إلى هذه الحجرة الجانبية ؛ ليخفوه عن الفضوليين ، واستخدموا العجوز المريضة كستار ...

وشعرت بالخطر .. وتذكرت كل ما قيل لها عن أهمية وخطورة هذه المعلومات .. رأت فى خيالها صورة عربة المشرحة تغادر المستشفى ليلاً وفيها جثتان لا جثة واحدة ...

نظر لها بعينيه البرينتين وقال :

ـ « أنت أخى .. أنا أعرفك .. »

أرغمت نفسها على الابتسام ، وقالت :

ـ « أنت تحقق تقدمًا .. أليس كذلك ؟ أنت تزداد قوة .. لكن علىَّ أن أرحل الآن .. لقد توقفت لأقول مرحبًا .. »

هنا تغيَّر تعبير وجهه إلى الذعر ، وصاح :

ـ « لا ترحل ! »

ـ « لكن علىَّ أن أرحل .. »

أضاف بثقة مأساوية :

ـ « هل آذيت شعورك ؟ لم أعرف هذا .. »

ـ « لا .. لا .. لكن يجب أن أرحل .. وبسرعة .. »

قال بلهجة تقريرية ، وبلا تعبير على وجهه :

ـ « خذنى معك يا أخى .. »

ـ « لا يمكننى .. من فضلك لا تخبر أحدًا أنك قابلتنى .. »

ـ « لا أخبر أحدًا أن أخا الماء كان هنا ؟ حسن .. سأكون طيبًا .. لن أخبر أحدًا .. »

نظرت إلى الباب فأدركت أنه عولج بحيث لا يفتح القفل بمفتاح (الباس) .. إن كل أبواب المستشفيات خاصة فى الحمامات تسمح للمريض بإغلاق الباب على نفسه ، لكنها تسمح كذلك بفتح الباب من الخارج بمفتاح (الباس) ، لو صار المريض فى حالة لا تسمح له بالخروج ..

خرجت من الغرفة فى الوقت المناسب ، حين اقتحم الطبيب المقيم غرفة المريضة ، وصاح مغضبًا :

ـ « أين كنت أيتها الممرضة ؟ قلت لك أن تظلى أمام المرقاب ولا تتحركى .. »

ـ « لقد تحركت المريضة فدخلت كى أتفقدها .. ليست هذه المريضة مسئوليتى ، لكنى تطوّعت بهذا .. فلو كنت تلومنى على العناية بها ، يمكننا أن نسأل المشرف العام .. »

ـ « هـه ؟ لا .. انسى الموضوع .. فقط لا تتكلّمى عن هذا .. »

قالت فى سرها : لن أتكلّم .. يمكنك أن تراهن على أننى لن أتكلم .. ولكن ماذا أفعل بعد هذا ؟ يا ليت (بن) موجود .. هل هو يتناول الغداء ؟ لكن اليقين كان يتزايد فى وجدانها : (بن) لن يترك البلدة من دون أن يخبرها بنتيجة مقابلته للرجل من المريخ ..

هناك فى حياة كل إنسان لحظة يكون عليه فيها أن يضع حياته ومكاسبه مقابل هدف غير مؤكد .. ومن يرفض هذا التحدى يكن مجرد طفل كبير لا أكثر .. وقد قابلت (جيل بوردمان) تحدّيها الخاص الساعة 3:47 مساء وهى تقنع أحد الزوار بأنه لا يستطيع اصطحاب كلب لغرفة المريض ، حتى لو كان الأمن قد سمح له بهذا ..

كان الرجل المرّيخى جالسًا بعد انصراف (جيل) .. كان سعيدًا ؛ لأن (أخاه) وعده بأن يعود .. كان بوسعه أن ينتظر ولا يفعل شيئًا ، ربما لعدة أعوام لو اقتضى الأمر .. ما كان المرّيخيون ليفهموا عبارات مثل (الوقت متأخر أكثر مما تظن) ؛ لأنها لا معنى لها بالنسبة لهم ، ولا عبارات من قبيل (العجلة تجلب الخطأ) ؛ لأنها شىء مفهوم ، كأنك تشرح للسمكة كيف تسبح ..

لمّا انفتح الباب ثانية ودخلت (جيل) أصابته الدهشة ؛ لأنه لم يتوقّع أن الباب هو باب .. لكنه فهم هذا سريعًا .. وترك نفسه لمشاعر الراحة التى يحسُها كلما قابل أخوة الماء أو -فى ظروف خاصة- الكبار . ناولته (جيل) لفافة ، وقالت له :

- « البس هذه ! بسرعة ! »

فلما وجدته ينظر لها بلافهم ، اضطرت لأن تساعده .. كان عليها أن تنزع ثيابه وتضع تلك الثياب عليه .. كان يلبس جلباب مستشفى وخفين .. كان بوسعه أن ينزع هذه الثياب الآن ، لكن ليس بالسرعة التى تريدها (جيل) .. وقد راق له الجلد المزيف الذى شدته (جيل) حول رجليه ، لكنها لم تترك له فرصة الإعجاب .. لقد ألبسته ثياب الممرضة بسرعة .. لم تكن هذه الثياب تخصها ، بل تخص ممرضة أكبر حجمًا .. لم يكن الحذاءان بهذه السهولة ؛ لأنهما ضيقان كما أنه ظل يجد الوقوف عسيرًا فى هذه الجاذبية .. ثم ألبسته (الكاب) ، وقالت إن شعره قصير ، لكن من الممكن قبول هذا الطول .. ولم يفهم ما تريد ، وقرّر أن يطيل شعره الآن ، لكن وجد أن الوقت غير كاف لهذا ..

- « والآن لنمض .. سيكون علىّ الكلام ، فلا تتكلم أنت أبدًا .. فقط لو كنت تعرف أية صلوات فلتتلها ! »

- « صلوات ؟ »

- « لا عليك .. فقط تعال ولا تتكلّم .. »

واقتادته من يده عبر الردهة .. فلم يبد أن أحدًا يلاحظ .. وغرق (مايكل سميث) فى رؤى لم يستطع أن يركز عليها أو يفهمها .. مشى وراءها وكاد يتعثّر لو لم تمسك به .. أخذته إلى المصعد فالسطح .. كانت تبحث فى يأس عن تاكسى طائر ، بينما هو ينظر فى استمتاع ولهفة إلى السماء التى لم يرها منذ غادر المريخ .. سماء (واشنطن) الزرقاء الصافية على غير العادة .. المشكلة هى أن موعد انصراف الممرضات فات منذ ربع ساعة ، وبالتالى لم تعد هناك سيارات تاكسى .. هنا تطوّع مراقب السطح -وقد عرفها- بأن يمنحها سيارة تاكسى استدعاها للدكتور (فييس) ..

قالت له فى لهفة :

- « شكرًا لك .. فأنا فى ورطة .. هذه ابنة عمى (مادج) ، وقد أصيبت بالتهاب فى الحنجرة .. يجب أن آخذها للبيت حالاً .. »

أوقف سيارة التاكسى ، وضغط على الأزرار طالبًا شفرة بيت (جيل) التى يعرفها ، ثم تنحى ليسمح لهما بالركوب ..

جلس (سميث) فى التاكسى، وأراد أن يوجّه لـ (أخ الماء) رسالة شكر، لكنه استبعد أكثر الإجابات؛ لأنه لا يعرف كيف يترجمها، وفى النهاية راقت له عبارة لا بأس بها:

- «فلينم بيضنا فى عش واحد»

ولاحظ فى خيبة أمل أنها لم تفهم .. أكثر من مرة أثار ارتباك أو خوف الناس، بينما كان هدفه هو أن يبعث فيهم شعور الاندماج .. جرّب من جديد:

- «عُشك عُشى وعُشى عُشك»

ابتسمت (جيل) هذه المرة، وقالت:

- «عزيزى .. لست واثقة من أننى أفهمك جيدًا، لكن هذا أرق عرض تلقيته منذ زمن .. ولكن فلننتظر قليلاً، لأننا غارقان حتى الآذان فى المتاعب»

لم يفهم كل ما قالته سوى أمر الانتظار، وهو شىء يفهمه بديهيًا .. لذا استرخى وراح يستمتع بمشاهدة العالم من الجو، وهو شىء لم يتح له من قبل. أدركت هنا أن التاكسى يقترب من شقتها. لم تكن تعرف شيئًا عن أساليب البوليس، لكنها عرفت يقينًا أن هذا هو آخر مكان يناسبها

أن تكون فيه. سوف يجد البوليس بصماتها، ولسوف يجدون من يشهد على أنها كانت هناك، ولربما كان بوسعهم تفريغ رحلة التاكسى؛ لمعرفة أين ذهبت بالضبط؛ لهذا ضغطت على الأزرار لتمحو وجهتها السابقة .. لم تعرف إن كان هذا يمسح شريط ذاكرة التاكسى، لكنها لن تجازف.

أصدرت أوامرها للتاكسى كى يتّجه إلى شقة (بن) .. كانت تعرف الشفرة الخاصة بفتح الباب، لكنه لدهشتها لم يستجب .. لقد غيَّر (بن) الشفرة ولم يخبرها بها! هكذا قررت أن تنادى مباشرة لعله يكون بالداخل:

- «(بن) .. هذه أنا (جيل)!»

لدهشتها انفتح الباب .. وأدركت فى سرور أن هذه هى الشفرة الجديدة!

دخل (سميث) وراءها، وقد بدا أن هناك أشياء كثيرة جدًا فى شقة (بن) لا يستطيع استيعابها فورًا. وكانت النافذة أول ما لفت نظره، لكنه لم يعرف أنها نافذة، بل افترض أنها واحدة من الصور الحية التى كان يراها فى وطنه .. لابد أن فنانًا عظيمًا بين هؤلاء القوم هو الذى رسم هذه الصورة المتحركة. على الأرض كان هناك عشب صناعى جميل يستعمله (بن) كديكور.

ـ « لماذا أنت مهموم يا أخى ؟ »

نظرت له فى دهشة .. الرضيع البائس لا يدرك مجرد وجود شىء خطأ .. لا يعرف أى شىء .. هى لا تعرف بالضبط كم قانونًا خرقته ، لكنها تعرف أنها اصطدمت بإرادة القوم الكبار .. الرؤساء .. الذين يأخذون القرارات .

حاول أن ينزع ثيابه فلم يستطع ، وتورّط فى الثياب كقطة صغيرة فى بكرة خيط .. هكذا اضطرت لأن تساعده .. كانت ممرضة ، وقد اعتادت رائحة القذارة ، لكنها ـ كممرضة ـ كانت تعشق الماء والصابون .. وكان من الواضح أنه بحاجة للحمام ، قبل أن تعطيه بعض ثياب (بن) .. ملأت له المغطس واختبرت حرارة الماء ، ثم طلبت منه أن ينزل .. هذا ماء .. أخوه يطلب منه طقوس الماء .. ما من أحد فى العالم نال هذا الشرف العظيم .. وبرغم أنه لم يعتد الماء ، فإنه كان يعرف الحقيقة : أخوه لا يخطئ أبدًا ..

غاص فى المغطس .. هنا أثار رعبها أنه غاب كلية تحت الماء .. مدّت يدها ترفع رأسه فوجدت أنه ساكن كالجثة .. لا هو لم يغرق .. لا أحد يغرق بهذه السرعة .. هنا فتح عينيه ..

ـ « هل أنت بخير ؟ »

ـ « بخير يا أخى .. »

ثم مد يده المكورة وتناول جرعة من الماء وشربها ، ثم مد يده لها .. صاحت فى دهشة :

ـ « هيه ! لا تشرب ماء استحمامك ! أنا لن أشربه أيضًا ! »

أصابتها حيرته بالجزع ، مما جعلها تلمس شفتيها بالماء .. ثم قالت له فى عصبية :

ـ « هل أنت راض ؟ لو أردت كوب ماء سأجلبه لك ، لكن لا تضيع وقتًا أكثر .. »

فرغ من حمّامه ، فأحضرت له الثياب الجافة .. وبينما هو يستعد لارتدائها ، دوّى الصوت من الخارج :

ـ « افتح الباب ! »

أصابها الهلع .. هلع لم تشعر به منذ توقف قلب المريضة أثناء تلك الجراحة .. هل بهذه السرعة ؟ إذن هم يعرفون أن أحدًا هنا .. لكن هل هم متأكدون من وجودها ؟ لا بد أن التاكسى اللعين قد وشى بها ..

اتجهت إلى الصالة وهتفت :

ـ « من ؟ »

ـ « افتحى باسم القانون ! »

ـ « أى قانون ؟ هلاً رحلت قبل أن أبلغ الشرطة ؟ »

ـ « نحن الشرطة .. هل أنت (جيل بوردمان) ؟ »

وقبل أن تجيب رأت دائرة من الحمرة حول قفل الباب .. ثم تحول الأحمر إلى الأبيض .. وانفتح الباب لتجد أمامها رجلين .. تراجعت للوراء وصاحت :

« أين أمر التفتيش ؟؟؟ أريد أن أرى أوراقكما ، وإلا أبلغت الشرطة بهذا الاعتداء .. »

أزاحها أحدهما جانبًا ، وكان يفوقها ضخامة مرتين :

ـ « نحن لانريدك ياصغيرة .. نحن نريده هو .. لاتضايقينا وفى هذه الحالة لربَّما تصرَّفنا معك برفق .. »

ودخل أحدهما إلى الحمَّام ، ثم جاء صوته :

ـ « إنه هنا .. »

ثم خرج وهو يقتاد (سميث) وذراعه خلف ظهره ، وحاولت

(جيل) أن تعترض ، فصفعها الرجل الأول الذى كان يدعى (جونسون) . كان هذا خطأ قاتلاً منه أن يصفعها أمام (سميث) .. حتى هذه اللحظة كان (سميث) وديعًا مسالمًا يقاوم فى وهن ، كأنه كلب يحاول التملّص من صاحبه الذى يرغمه على المشى فوق العشب . لكنه وقد رأى أخا الماء يصفع ، تملّص وحرر نفسه ، ثم مد يده إلى (جونسون) .

فجأة لم يعد (جونسون) هناك .. لم يعد فى أى مكان .. لم تعد الغرفة تحتويه .. فقط بقايا العشب حيث كانت قدماه الكبيرتان .. ونظرت (جيل) إلى الفضاء الذى كان فيه ، وشعرت بأنها موشكة على فقدان الوعى .

فتح الرجل الثانى فمه ثم أغلقه .. وسأل بخشونة وهو ينظر إلى (جيل) لا إلى (سميث) :

ـ « ماذا فعلت به ؟ ما هى هذه الحيلة ؟ هل هو باب مصيدة أم ماذا ؟ »

ـ « لا أعرف .. »

أخرج مسدسًا من جيبه وصوبه نحوها :

ـ « لا تحاولى حيلة كهذه معى .. ابقى هنا بينما آخذه معى .. »

رأى (سميث) الرعب على وجه (جيل) .. وكان قد رأى السلاح النارى من قبل .. هذه هى لحظة التحرك .. لحظة أن يجد التأمل فعلاً لازمًا من أجل النمو .. لقد علمه الكبار القدامى جيدًا .. مد يده نحو الرجل ، وفى اللحظة التالية لم يعد هذا الأخير هناك ..

ثم استدار (سميث) إلى أخيه .. كانت تغطّى وجهها وتصرخ .. شعر بأنه أخطأ ، ومن ثم انزلق ببطء إلى الأرض التى يغطيها العشب ، وتكوّر على نفسه فى شكل جنين ..

نسيت (جيل) كل شىء فيما عدا أن هناك مريضًا فى خطر .. ركعت جواره وتحسست نبضه فلم تشعر به .. لم تشعر بوجود تنفس .. ألصقت أذنها بصدره ، فخُيِّل إليها أنها تسمع (لاب داب) المميزة لخفق القلب .. لكن بضربة كسول تليها ضربة أخرى بعد خمس ثوان .. ذكّرها هذا بتفاعلات (الانسحاب الانطوائى) .. لكنها لم تر سنة بهذا العمق قط حتى فى محاضرات التخدير بالتنويم المغناطيسى .. سمعت عن بعض فقراء الهنود الذين يستطيعون الدخول فى حالة كهذه ..

حاولت أن توقظه بكل شكل ممكن .. حتى العصب الحساس فى كوعه لم يستجب ..

هكذا دخلت غرفة النوم ، وانتقت حقيبة كبيرة كانت تخص (بن) .. لاحظت أن الحقيبة بها منامة ومنشفة وأشياء أخرى توحى بأنها الحقيبة التى يعدها الصحفى لسفر فورى خارج المدينة .. يدلُّ هذا على أن (بن) لم يسافر .. بكثير من الجهد نجحت فى أن تدس جسد (سميث) النحيل الخفيف داخل الحقيبة ، ثم راحت تدفعها دفعًا على العجلات نحو الباب ..

كان أحد الجيران يقف هناك ورأى الحقيبة العملاقة فسألها :

ـ « هيه يا أختاه .. ماذا فى هذه الحقيبة ؟ »

ـ « جثة .. »

قال مغمغمًا :

ـ « نعم .. بالفعل .. إن من يسأل سؤالاً سخيفًا ينل إجابة سخيفة .. »

* * *

الجزء الثانى

عن إرثه المخالف للطبيعة

7

كان الكوكب الثالث من (سول)(*) فى حالته المعتادة ، كان عليه اليوم 230,000 ألف شخص أكثر من البارحة ، وبين خمسة تريليونات أرضى كانت هذه الزيادة طفيفة لا تلاحظ .

تناول جناب عظمته (جوزف إ. دوجلاس) أمين عام الاتحاد العالمى للولايات الحرة (#) إفطاره المكون من (الأومليت) ، وتساءل فى تعاسة : لماذا لا يحق للمرء الحصول على قدح قهوة محترم هذه الأيام ؟ أمامه كانت صحف الصباح التى أعدها النوبتجيون ليلاً .. وكان لديه ماسح ضوئى سريع .. تتدفق عليه الكلمات كلما نظر بهذا الاتجاه . لكنه الآن لم يكن يقرأ ، بل يتحاشى عينى رئيسته عبر المائدة .

سألته زوجته التى لم تكن تقرأ ، لكن لديها طرقها لمعرفة المعلومات :

(★) يتحدث عن كوكب الأرض طبعًا ..

(#) أى أنه حاكم العالم ..

ـ « (جوزيف) .. ثمة شىء يقلقك .. وأنا لم أرقبك وأهدهدك وأغسل جواربك لمدة خمس وثلاثين سنة بلا مقابل .. أعرف حين يكون هناك شىء فى ذهنك .. »

نظر لها فى حيرة ، وتساءل : كيف قادته إلى توقيع هذا العقد غير القابل للفسخ معها منذ كانت سكرتيرته ؟ القصة أنه كان بحاجة لضغط نفقات الإقامة فى ذلك الفندق ، لذا تزوجها كى يقيما فى غرفة واحدة بدلاً من غرفتين .. طبعًا قصتها كانت تختلف كثيرًا ، وهو لم يكن يملك الشجاعة كى يعارض الرواية الرسمية عن لقائهما ..

ـ « لم أنم جيدًا أمس يا حبيبتى .. ولكن لماذا تقولين هذا ؟ »

ـ « حدس الأنثى .. ترى ماذا جلبه لك (برادلى) ؟ »

ـ « لقد فقدنا ذلك المتسول (سميث) .. »

ـ « الرجل من المريخ ؟ هذا غريب ! كيف فقدتموه ؟ »

ـ « تنكّر كامرأة ! والمشكلة هى أننا لا نستطيع أن نعلن رسميًا أننا فقدناه .. »

ـ « يجب أن تجدوه .. قبل أن يجده منافسوك السياسيون

فى (الائتلاف الشرقى) .. لو احتجتم إلى قتله فاقتلوه ! تذكر أنه ليس مواطنًا على الإطلاق .. ولكن .. لن أضيِّع الصباح كله أناقش البديهيات معك .. انته من إفطارك ، وامسح هذا البيض عن شفتيك .. »

انصرفت وجلس هو وحده يفكر .. لم يكن ليسمح لأحد بإيذاء ذلك الشاب من المريخ .. نعم هو مزعج ، لكنه شاب وديع لطيف ، ولو رأته (أجنس) ـ الزوجة ـ لحرك فيها روح الأمومة .. لكن هل هى لديها ؟ تبًا ! كل النساء لديهن غريزة الأمومة .. العلم برهن على هذا .. كانت زوجته تعيش فى قالب (إيفيتا بيرون) .. تتظاهر بأنها صنعت ذلك الرجل الذى شرفته بأن تسميه (زوجها) .. وكانت تؤمن أن على الرجال أن يحموا العالم .. وعلى النساء أن يحكمن الرجال ..

★ ★ ★

بينما كانت مسز (دوجلاس) تتكلم بحرية فى أمور لاتعرف عنها إلا القليل ، كان (جوبال هارشو)(*) .. دكتوراه فى العلوم ودكتوراه فى الطب ، وذوّاقة مترفًا ومؤلفًا خارقًا للعادة .. وكذلك هو فليسوف تشاؤمى محدث neopessimist

(★) أغلب الأسماء هنا لها دلالة رمزية تفتح مجالاً للجدل .. (جوبال) معناها (أبو الجميع) ..

يتمدَّد فى حمام السباحة فى بيته فى (بوكونوس) ، يحك الشعر الرمادى الكث على الصدره ، جواره فى حمام السباحة كانت سكرتيراته الثلاث اللاتى يجمعن بين الكفاءة والجمال ، وجواره كان ميكروفون صغير يتصل بجهاز الإملاء فى مكتبه .. كانت هذه طريقته لإعطاء مذكرات ، لكنه فى العادة كان يفضل الاستعانة بكاتبة اختزال .

صاح ينادى :

ـ « أول الصف ! »

قالت الفتاة (آن) :

ـ « ليس هذا دورى ، لكنى سأتولى الأمر .. »

كن يتكلمن معه بحرية وربما بوقاحة .. كل الخدم فى البيت كانوا كذلك ..

وسرعان ما خرجت من حمام السباحة ، وجففت يديها فى منشفة هناك ، ثم راحت تصغى له . لم تكن محتاجة إلى الكتابة ؛ لأن ذاكرتها فوتوغرافية .. قال لها :

ـ « لدى قصة ممتازة خطرت لى .. عن قطة تتسلل إلى دار عبادة بحثًا عن الدفء .. إنها تشعر بالبرد والجوع .. بالإضافة إلى أن لها مخلبًا مهشمًا .. »

ـ « ما اسم الكاتب الذى أستخدمه ؟ »

ـ « م م م ! فلنستعمل (مولى وادزورث) ثانية .. ولتطلق على القصة (المعلف الآخر) .. وتبدأ القصة كما يلى .. »

وبدأ يحكى وهو يرقب باهتمام ورضا الدموع التى بدأت تنساب من عينيها ..

كان على وشك البدء فى القصة الأخرى مع السكرتيرة (ميريام) ، حين جاء صوت مكبر الصوت يقول :

ـ « ثمة امرأة على الباب الخارجى تريد أن تراك .. ومعها جثة »

فكر قليلاً فى الأمر ، ثم قال :

ـ « جميلة ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « إذن لماذا تضيع الوقت ؟ لم لا ترسلها لى ؟ »

كانت هناك سيارة صغيرة تقترب ..وداخل السيارة كانت (جيل) ، وجوارها شاب يقود السيارة ..

قال (جوبال) :

ـ « ولكن أين الجثة ؟ »

قالت (جيل) :

ـ « لا جثة .. لقد سمعت من (بن) أنك .. »

ثم غطّت وجهها بيدها ، وبدأت تبكى ..

هدأها وأمر سكرتيراته أن يعنين بها ، ثم اتجه إلى السيارة .. كانت هناك بطانية على المقعد الخلفى رفعها وقال :

ـ « هناك جثة فعلاً .. حرارة هذا الفتى أقل من حرارة الجو .. التصلب غير معتاد .. »

ـ « ليس ميتًا .. فقط ساعدنى على إخراجه من هذا المقعد .. »

أخرج السماعة ووضعها على صدر الفتى ، وراح يصغى :

ـ « أخشى أنك مخطئة .. إنه ميت فعلاً .. يا لى من قرد (بابون) غبى ! إنه حى .. هاتوا لى حقنة من الدواء فى غرفتى .. الدرج الأيسر .. »

قالت (جيل) فى رعب :

ـ « لا .. لا منشطات للقلب ياسيدى .. آسفة فأنا ممرضة فقط ، لكن أعرف الحالة جيدًا .. »

ـ « م م .. منذ أربعين سنة عرفت أننى لست إلهًا .. ومنذ عشر سنوات عرفت أننى لست (أبقراط) كذلك .. ماذا ترين أن نفعل ؟ »

جلست جوار الفتى ، وراحت تدلكه برفق .. وراحت تهمس :

ـ « هلم .. أفق .. أنا (جيل) أخوك المائى .. »

لدهشة الطبيب بدأ الجسد يتحرك .. تحرك الصدر .. ثم أطلق تنهيدة عظيمة وفتح عينيه .. نظر لـ (جيل) وابتسم ابتسامته الطفولية . وهكذا بعد قليل تمكّن (جوبال) من أن يضع المريضين فى الفراش .. فقط أخبرته (جيل) بأنها قادمة من طرف (بن كاكستون) ، وأنه قال لها إن بوسعها الثقة بـ (جوبال) .. (بن) مختف الآن ، وكل شىء يؤكد أن دبًا يطاردها .. ثم راحت فى النعاس المريح ، فابتسم الطبيب .. ما زالت هناك أمور مثيرة شائقة فى هذه الحياة ، بدلاً من الملل الرمادى الذى يكسو كل شىء ..

هتف الشاب الذى جاء مع (جيل) :

ـ « هل هذا فعلاً هو الفتى من المريخ ؟ »

ـ « فلتدع الله ألا يكون هو .. لأنه لو كان هو وعرفوا علاقتنا بالموضوع ، فلسوف يستجوبوننا بمشعل نار .. »

بعد نوم هادئ مريح ، صحت (جيل) من نومها ، فأدركت أنها نظيفة تلبس ثيابًا جديدة ، واضح أنها تخص تلك الفتاة

التى كان الطبيب يناديها (ميريام) . وكانت السكرتيرة الأخرى (دوركاس) متكورة على مقعد تنسج (التريكو) . رأت (جيل) فابتسمت لها . جاء الطبيب باسمًا يدعوها إلى العشاء ، وسألها عمّا إذا كان الفتى يأكل ، فقالت فى حيرة إنها لا تعرف ..

ـ « لا عليك .. سنرى إن كان يريد أن يأكل أم لا .. أو نرسل له صينية إلى غرفته .. كل شخص فى بيتى حر يفعل ما يريد .. إلى أن أفقد صبرى فأقذف به فى الشارع .. وأكون شاكرًا لو أطلقت علىَّ (جوبال) فقط بلا لقب (دكتور) .. بالمناسبة .. ماذا يهمك من أمر هذا الفتى ؟ هل تحبينه ؟ إنه فتى وأنت فتاة ، وهذا ترتيب جميل كما ترين »

نظرت له فى دهشة ، وقالت :

ـ « لا .. فقط بدا لـ (بن) أن الفتى سجين ، وأن حياته فى خطر لذا قرَّرت أن أنقذه .. قال (بن) مرة إنك الشخص الذى يستطيع استعادة حقوقه .. »

ـ « هممم .. لا أستريح للاهتمام من غير سبب .. تبدين لى فتاة طبيعية تعمل غددها جيدًا .. لا بد أن الموضوع يتعلق بالفتى أو (بن) .. لا بد للمرء من أن يتفهَّم دوافعه جيدًا .. وهكذا يتخذ قرارًا صائبًا .. »

فكرت قليلاً ، ولم تدر ما تقول .. فقال لها :

ـ « بالنسبة لما يعتقده (بن) فهو مخطئ .. أنا لا أبالى لحظة بالدفاع عن حقوق هذا الفتى .. لا أعتقد أن له حقًا فى المريخ ، وأعتقد أن هكذا كله هراء محامين ، ولو كان الفتى سعيد الحظ لانتزعوا منه هذه الحقوق .. لن أدافع عن حقوقه .. »

ـ « آسفة .. إذن يجب أن أرحل .. »

ـ « أنت أسأت فهمى .. بالنسبة للدفاع عن حقوق فتى من المريخ ، فالأمر لا يعنينى فى ذرة .. لكن بالنسبة لمريض وضيف فى بيتى ، فالأمر يختلف .. يمكنه أن يبقى هنا أية فترة يريد .. »

كان (جوبال) من الطراز الذى يؤمن بأن معظم البشر صالحون للقميص عديم الأكمام ، والصدمات الكهربية ، وحمامات الماء البارد . وقد تعلم أن يصل إلى (النرفانا) من زمن بعيد .. غاص فى سرته فتلاشى من الوجود كأنه أحد فقراء الهنود .

فلما اختلى بنفسه بعد العشاء نادى سكرتيرته (دوركاس) وقال لها :

ـ « تعرفين أننى كنت طفيليًا عديم النفع والقيمة طيلة الخمسة والثلاثين عامًا الأخيرة .. »

ـ « هذا شىء يعرفه الجميع .. »

ـ « هاتى دلوًا من الماء البارد وألقى به فوق (دوك) ، واطلبى منه يحضر لى جهاز تليفزيون مجسم .. يجب أن أتابع الأخبار أولاً فأولاً .. إننى أفكر جديًا فى استبدال كلب بكل العاملين فى هذا البيت .. ثم أطلق الرصاص على الكلب .. لو لم يستطع (دوك) تدبير جهاز تليفزيون ، فليحدد اتجاهًا يغادر به منزلى .. ويبدأ المشى فيه »

ثم تذكر شيئًا فقال لها :

ـ « القصة الأخيرة .. اختارى للكاتبة اسمًا ينتهى بحرف a .. مثل (أنجيلا) .. هذا يوحى للقارئ بأن جسم صاحبه الاسم جميل .. الفتيات اللاتى ينتهى اسمهن بحرف a يثرن الخيال .. »

قالت له فى غيظ :

ـ « تقول هذا بينما لا توجد واحدة منا ينتهى اسمها بحرف a .. يا لك من قملة ! »

كان فى هذه الليلة يشعر برغبة فى الفوضوية التى هى علامة الميلاد لأى أمريكى .. أن يضرب رأسه فى النظام ويتحداه .. بعث فيه هذا نشوة لم يشعر بها من قبل طيلة حياته ..

* * *

8

على كوكب المريخ لم تكن الحياة خالية من العمل ، كان على السكان أن يعنوا بكوكبهم ، هناك نباتات يجب أن تعرف متى وأين تنمو ، الحوريات يجب أن يجمعن ويخصبن ، ويجب أن يجمع البيض الناتج ، ويتم التفكير فيه والتعبد له ؛ حتى ينضج . كانت كل الحوريات إناثًا ، أمّا البالغون فكانوا ذكورًا ، هذه أشياء مهمة لكنها لا تختلف عن أخذك الكلب لتتنزّهه مرتين يوميًا ، ليست هذه حياتك .. لكن لو رآها واحد من المريخ لحسبها كذلك ، ولحسب أنك تعمل عبدًا للكلب .

كان كلٌّ من البشر والمريخيين شكلين للحياة الواعية ، لكنهما سلكا سبيلين كاملى الاختلاف ، إن قطبية (رجل ـ امرأة) التى تحكم حياة البشر ، لا يمكن أن توجد على المريخ ولم يكن الزواج محتملاً ، كان الكبار ضخام الأجساد يُذكّرون الأرضيين بسفن تحت أشرعة عملاقة .. وكانوا قليلى الحركة ، لكنهم كانوا نشيطى التفكير ، الحوريات كن كرات سمينة مغطاة بالفراء .. ولم يكن شىء يحدث تقريبًا ، فلو كان لدى المريخيين صحف ، لكانت طبعتان فى كل قرن أرضىٍّ كافيتين جدًا ، إلا أنه مؤخرًا حدث شيئان مهمان ، لم يكن المريخيون

يرون شيئًا جديدًا فى لقاء الأجناس الأخرى ، فقد حدث هذا من قبل ولسوف يحدث ثانية ، عندما يتم استيعاب الجنس الآخر (حوالى ألف سنة أرضية) يمكن وقتها اتخاذ قرار مناسب .

ما حدث هذه المرة هو أن القدماء الكبار قرّروا أن يرسلوا (الرجل) ليفهم كنه الكوكب الثالث ، ثم وجهوا انتباههم إلى أشياء أكثر أهمية مثل الفنون ، وكانت فنون هؤلاء نوعًا من العواطف والانفعالات المحتشدة معًا ، سمها شعرًا أو موسيقا لا يهم ، كان فن المريخيين ينقسم إلى جزأين : فن البالغين الأحياء وكان أقرب إلى التطرف والبدائية ، وفن القدماء الكبار الذى كان محافظًا ومعقدًا ، وكانت هناك خبرات معينة صارت لها أهمية شبه دينية عندهم بعد كل هذه القرون ، مثلاً ذكرى معرفتهم لسكان الكوكب الخامس ، وكيف دمّروهم ثم عبدوهم بعد هذا ، فلم يبق لهم من أثر إلا بعض الكويكبات ، كان هناك عمل فنى يمثل هذه الذكرى ، لكن الفنان الذى صنعه (تحلّل) .. انهمك بعمله فنسى نفسه فى البرد طويلاً ، و(تحلّل) حتى إنه صار من المستحيل التهام جثته .

وعلى الكوكب الثالث كان (فالنتين مايكل سميث) لا يشغل ذهنه بهذه الأمور ، لكنه يعرفها كما يعرف أى تلميذ عندنا

قصة تدمير (طروادة Troy) وهبوط الحجاج على صخرة (بلايماوث Plymouth) ، كان قد تلقى تعليمًا خارقًا يفوق كل رفاقه .. فقد أراد القدماء الكبار معرفة الكم الذى يمكن أن يتعلمه هذا الغريب ، لقد وجد أخا ماء عظيمًا فى (جوبال) ، الذى أخبره أن بوسعه معرفة الكثير عن هذا العالم لو تعلم القراءة ، لذا كرس يومًا كاملاً لتعلم القراءة بمساعدة (جيل) ، لقد اضطره هذا لترك السباحة فى حمام السباحة ، وهى متعة لا توصف بالإضافة إلى ما تمنحه من نشوة دينية ، كان ذا قدرة خارقة على البقاء تحت مياه حوض المغطس لفترات لا يمكن تصديقها ، وكان يقضى الليل فى تصفح الموسوعة البريطانية بسرعة لا تصدق ، بالنسبة له لم يكن هناك ما يدعى (خيال) .. كل شىء فى الكتب حقيقى .. ولم يستطع قط تصور أن (روميو وجوليت) لا وجود لهما .. بل كان يتصور أن مسرحيات (شكسبير) هى كتب تاريخ لا أكثر ، وكان (جوبال) يراقبه فى فضول .. لكنه لم يفكر قط فى (قياسه) بأن يجرى عليه دراسة بالأرقام والمنحنيات .. كان (جوبال) يملك تواضع العلماء ، وقد وجد أنه من السخف أن تقيس شيئًا وأنت لا تعرف أى شىء عن هذا الذى تقيسه .

لماذا لم يأت رجال الحكومة هنا ؟ هل هم أغبياء إلى حد عدم قدرتهم على اقتفاء أثر فتاة تجر رجلاً فاقد الوعى ؟ وخطر له أنهم ربما يراقبون بيته الآن ! وقد ضايقته هذه الفكرة ! الحكومة ثلاثة أرباعها تطفل وربعها غباء .. لكن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الحكومة إلا لو استطاع الاستغناء عن مصرانه الغليظ ، ثم أين ذهب ذلك الأحمق (كاكستون) ؟

كانت الفتاة تفكر فى البحث عنه ، لكنه أقنعها بغباء الفكرة .. كيف تستعين بمخبر خاص وهى لا تملك مالاً ؟

كان (جوبال) قد بدأ يحب الفتاة ، خاصة مع مفهومه المتسامح البسيط عن (فقدان الاتحاد discorporation) ـ كما يسمى الموت ـ فلو أخبرته أنك ستطهوه للعشاء لشكرك فى حرارة على هذا الشرف ، وهذا يختلف عن مفهوم (غريزة الموت) الفرويدى وعن كون الحياة لا تطاق ، بل هو أقرب لتعبير (ستيفنسون) : «سعيدًا عشت وسعيدًا أموت .. وأسلم نفسى حاملاً وصيتى» . يبدو أن (مايكل) يعرف فعلاً ما يتكلم عنه .

فقط كان يثير غيظه محاولة (جيل) تعليم الفتى الإتيكيت وقواعد السلوك .. وكان يقول لها :

- « لماذا تصرين على إفساد هذا الفتى ؟ لماذا تعلمينه قيم الطبقة المتوسطة الكئيبة ؟ هذا الفتى جاء من ثقافة مختلفة ، وأنت تحاولين تحويله إلى نسخة كربون من كل واحد آخر من الذين يوافقون على كل شىء على هذا الكوكب البائس .. لماذا لا تعلمينه أيضًا كيف يحمل حقيبة أوراق ، ويشعر بالخجل لو لم يحملها ؟ »

قالت له (جيل) فى خجل :

- « أنا مدينة لك ، ولكن .. »

- « لا .. أنت لست مدينة لى .. ولا تحاولى أن تكونى وقحة مثلى ؛ لأن هذا يحتاج إلى سنوات من المران .. لو بدأت تشعرين بأنك مدينة لى لانتقلت إلى الشعور بالامتنان .. وهذه هى الخطوة الأولى نحو الانهيار الأخلاقى الكامل ! علّمى الفتى بعض السلوكيات ، لكن احرصى على أن يحتفظ بطابع السخرية منها .. »

- « حسن .. لا أعتقد أنه يملك ذرة من روح السخرية .. »

جاء (فالنتين) من غرفته ، وهو يعانى الأمرين من ارتداء ثيابه ، وقد أخفق عدة مرات فى ربط الحذاء ، فسأله (جوبال) عمّا تعلّمه اليوم ..

- « تعلّمت القفز فى الماء .. (دوركاس) يفهم الماء .. الماء يعشقه .. »

- « (هى) .. (دوركاس) هى وليست (هو) .. »

تساءل (فالنتين مايكل) فى حيرة :

- « (هى) .. إذن ما قرأته خطأ .. لقد جاء فى قاموس (وبستر) الطبعة الثالثة المطبوعة فى (سبرنجفيلد ماساتشوستس) أن الجنس الذكرى يتضمن الجنس الأنثوى فى استعمال الضمائر .. وفى قانون تعاقد (هاجوورث) الطبعة الخامسة .. شيكاغو .. إلينوى .. 1978 فى صفحة 1012 يقول ... »

صاح (جوبال) :

- « كفى .. المشكلة فى اللغة الإنجليزية لا فيك .. يمكن أن يتضمّن الجنس الذكرى الجنس الأنثوى لو تحدثت عن مجموعة ، لكن ليس حين تتكلم عن شخص بعينه .. (دوركاس) هى لا هو .. وماذا تعلمت أيضًا ؟ »

- « تعلمت طريقتين لربط حذائى .. »

- « حسن .. والآن أريد منك شيئًا .. أنا لم أطلبك من غرفتك لنتبادل هذه الكلمات .. »

كان يريد أن يعرف منه شيئًا سمعه من (جيل) ولم يصدقه .. بمعنى أدق كان يصدقها ، لكنه لم يصدق الواقعة .. إن الناس تحلم من حين لآخر .. لقد قالت إن الرجلين اختفيا فى شقة (بن) فى أثناء تلك المواجهة مع (مايكل) .. فكيف حدث هذا ؟

كان الأمر صعبًا كالعادة .. لأن (مايكل) لم يكن يفهم معنى (الرجلان اللذان هاجماه بعد فراره من المستشفى) ، فهو لم يكن يعرف أنه كان فى المستشفى .. وكان الجدال معه عسيرًا ؛ لأنه يهدد فى أية لحظة بأن ينثنى على نفسه ويأخذ الوضع الجنينى .. وفى النهاية فهم المطلوب فقال :

ـ « الرجل كان يهاجم أخا الماء .. ما قمت به كان سهلاً جدًا .. أسهل بكثير من عقد رباط الحذاء .. »

ـ « هل يمكنك أن تكرر ما قمت به مع هذا الشىء ؟ »

وأشار إلى صندوق يحوى زجاجة (براندى) شبه فارغة ، فتساءل (مايكل) :

ـ « لا أعرف يا (جوبال) .. لا بد لى أولاً من أن أقتنع أن هذا الشىء ليس صحيحًا .. وأنه ما كان يجب أن يوجد .. »

ـ « بالفعل هو كذلك .. ليس صحيحًا .. والآن أرينى كيف تخفيه ؟ »

حملت (جيل) الصندوق ورفعته بحركة تمثيلية فى الهواء ، وقالت لـ (مايكل) :

ـ « انظر ! أنا سأحطم به رأس (جوبال) .. سوف أؤذى (جوبال) لو لم تتدخل أنت .. »

وهوت بالصندوق على رأس (جوبال) .. وفى اللحظة التالية صرخ (جوبال) :

ـ « تبًا ! لقد اختفى ! لم أثبت عينى عليه ! هل رأيت ما جرى يا (آن) ؟ »

قالت (آن) السكرتيرة التى كانت قبل هذا تمارس عملها كشاهدة عدل :

ـ « لم يختف على الفور ولكن بالتدريج .. من حيث جلست بدا لى أنه ينكمش بسرعة .. بسرعة .. كأنما هو يبتعد .. لكنه لم يخرج من الغرفة .. »

ـ « وأين ذهب ؟ »

ـ « هذا كل ما أستطيع قوله .. »

ـ « أين ذهب يا (مايكل) ؟ »

قال (مايكل) فى حيرة :

ـ « آسف يا (جوبال) .. أنا لا أجد الكلمات التى أعبر بها .. ربما لو انتهيت من الموسوعة البريطانية أستطيع أن أعبر لك .. »

ـ « وما هو المدى الذى يمكن فيه أن يكون هذا السلاح مؤثرًا ؟ لنفترض أننى كنت فى حمام السباحة ؟ لنفترض أننى كنت على الجانب الآخر من الطريق .. هل تستطيع ممارسة حيلتك هذه ؟ »

قال (مايكل) :

ـ « (جوبال) .. الأمر لا يتعلق بالمسافة ولا الرؤية .. الأمر يتعلق بالمعرفة .. عليك أن تستوعب Grok الشىء .. أنا أحتاج إلى أن أرى كى أستوعب .. لكن القدامى الكبار لا يحتاجون إلى الرؤية .. إنهم يستوعبون .. »

ـ « لو كان وزير الدفاع هنا ، لأعلن أنك سلاح سرى شديد الخطورة ، ولصادرك فورًا ! »

كان (مايكل) يشعر بخجل شديد .. ولدهشة الرجل قال إنه نادم على اختفاء الرجلين .. فهو لم يعتد أن يضيع الطعام بهذه البساطة !

تناول (جوبال) منفضة تبغ ثقيلة وناولها لـ (جيل) ، وطلب منها أن تتظاهر بضربه بها ، فقالت (جيل) :

ـ « أعتقد أنك تسبب ارتباكًا لـ (مايكل) .. فهو يعتبرنا أخوى ماء له .. وهذا التصرف .. أن يضرب أحدنا الآخر .. غامض بالنسبة له .. إنه تصرف (غير مريخى) تمامًا .. المفترض أن تحقق لجنة (النشاطات غير المريخية)(*) فيه ! »

رفع (جوبال) يده لأعلى وقال لـ (مايكل) :

ـ « ليكن .. سأقذف هذه المنفضة فى الهواء وسوف تسقط على رأسى .. سوف تدمينى وربما تقتلنى .. ما لم توقف أنت ذلك .. »

وفعل ذلك .. فهوت المنفضة من عل .. راح يقاوم الغريزة التى تدفعه لتحاشيها قبل أن تحدث أذى بالغًا لرأسه ، فى اللحظة التالية لم تهو المنفضة ، وإنما ظلت معلقة فى الهواء .. سأل (آن) السكرتيرة :

ـ « ماذا ترين ؟ »

(*) يسخر الكاتب هنا من (لجنة النشاط المعادى لأمريكا Un-american التى أنشأها (مكارثى) ، والتى قضت على مستقبل آلاف الأدباء والفنانين وأساتذة الجامعة بتهمة الشيوعية ، ولمجرد أنهم يتكلمون بلغة تختلف عن اللغة الرسمية للحكومة الأمريكية .

قالت بلهجة الشاهد العدل التقريرية :

ـ «لم تختف .. هى معلقة فى الهواء ، ولاشىء يربطها للسقف .. »

نظر لـ (مايكل) وسأله :

ـ « لماذا لم تختف هذه ؟ »

ـ «لأنك لم تطلب أن تختفى .. طلبت أن (أوقف ذلك) وقد فعلت هذا .. »

تذكَّر (جوبال) أن الفتى يتعامل مع الكلمات حرفيًا .. عليه أن يكون أكثر حذرًا فى لغته معه ، مثلاً تعبيرات مثل (اختف من أمامى) أو (لم لا تسقط ميتًا ؟) .. قد تسبب كارثة هنا ! طلب من الفتى أن يخفى المنفضة فقال :

ـ « لا أستطيع .. رأسك لم يعد تحتها ، لهذا لا أستوعب الخطأ فى وجودها .. »

ـ « هل بوسعك أن تنزلها ؟ »

ـ « نعم .. »

ولكن المنفضة ظلت معلقة فى الهواء ، فنظر للفتى بدهشة وقال :

ـ « ما بك ؟ هل تعبت ؟ لماذا لم تنزلها ؟ »

قالت (جيل) :

ـ « (جوبال) .. أنت سألته إن كان يستطيع إنزال المنفضة ولم تأمره بإنزالها .. لهذا أجاب (نعم) .. »

شعر بالضعة ، وكرَّر الأمر بوضوح هذه المرة :

ـ « ليكن .. من فضلك أنزل المنفضة .. »

وببطء انزلقت المنفضة من أعلى لتهبط برقة فوق المنضدة .. جرى يتفحصها فلم يجد فيها شيئًا غير طبيعى .. لا هى باردة ولا ساخنة ، مجرد منفضة قبيحة بولغ فى تزيينها ..

قال (جوبال) للفتى :

ـ « هل تعرف ما هو المسدس ؟ إنه ذلك الشىء الذى كان الرجلان يسددانه نحو (جيل) .. ماذا ستفعل لو رأيت أحدًا يسدد مسدسًا نحو (جيل) ؟ »

ـ « لن أبدد الطعام ثانية ؟ »

ـ « نعم .. لو كنت تريد أن تفهم الأمر بهذه الصورة .. أريدك أن تخفى المسدس وتترك الرجل .. تترك الطعام صالحًا للأكل ! »

- « نعم .. نعم حين تفقد اتحادك يا أخى (جوبال) أريد أن آكلك .. وأنا أحبك وأجلك مع كل قضمة .. حتى تنتهى وأستوعبك تمامًا .. »

قاوم (جوبال) شعور الغثيان ، وقال :

- « شكرًا يا (مايكل ..) »

★ ★ ★

9

كان (جوبال) قلقًا .. فى طفولته كان مولعًا بتربية الثعابين ، وقد ظفر ذات مرة بثعبان غير ضار هو (الثعبان القرمزى) .. وهو مخلوق رائع الجمال ، وقد احتفظ به وربّاه وعرضه على الضيوف .. وكان يجيد فن التعامل مع الثعابين ، وكيف لا تعضه بأنيابها ؛ لأن عضة الثعابين - حتى غير السامة منها - مزعجة بما يكفى .. إلا أنه عرض هذه المجموعة ذات مرة على أحد خبراء الثعابين ، فكاد الرجل يفقد وعيه ، أخبره أن هذا الثعبان ليس ثعبانًا قرمزيًا ، بل هو (ثعبان المرجان) .. الكوبرا الأمريكية .. أخطر أنواع الثعابين السامة .. الخطر هنا كان يأتى من حقيقة أنه لا يعرف مدى خطورة هذا الكائن ، كان يستطيع قتله ببساطة كما يخمش القط ذراع طفل ، هذا ينطبق على (مايكل) .. إنه يبدو وديعًا كالحمل ، وأقرب إلى طفل أخرق لا يعرف شيئًا .. لكن لو لم يثق بك ثقة كاملة فإنه قد ينقلب عليك فى أية لحظة .. خاصة لو شعر أن من أمامه يحاول إيذاء أحد إخوانه المائيين ، ولسوف يقتل هذا الخصم ، ثم يبدى أسفه (لأنه أضاع الطعام) .. لا أكثر ولا أقل ..

أما عن موضوع الطعام هذا ، فهو لم يستطع أن يجد فيه شيئًا شاذًا .. لو بحثنا عن أجدادنا لوجدنا بينهم حتمًا من مارس أكل لحم البشر يومًا ، وهذا ببساطة لأن كل شعوب الأرض مارست هذا الطقس قديمًا .. سواء كان أصلك إفريقيًا أو أوروبيًا أو هنديًا أحمر .. وكان (جوبال) يؤمن أن ما يمنعه من التهام جاره السمج ـ الذى يعتدى على ممتلكاته ـ وما يمنع هذا الجار من وضعه فى ثلاجته هو قشرة الحضارة لا أكثر ..

لكن (مايكل) متحضر .. متحضر على الطريقة المريخية .. وبالنسبة له يعد أكل الآخرين طقسًا شديد السمو والأهمية .. إن المريخى يموت عندما يقرر أن يموت .. هكذا .. مثلما تغمض أنت عينيك لتريحهما ، وهنا يجتمع إخوانه حوله ليأكلوه وهم يعددون مآثره ، بينما هم يضعون المستردة عليه .

* * *

فى أرض (لابوتا LAPUTA) الطائرة التى زارها (جليفر Gulliver) كان كل رجل مهم يمشى ومعه خادم يدعى (كليمنول) أو (الضارب) ، مهمته هى أن يضرب فم أو أذنى سيده بمثانة مجففة ، كلما رأى أن على سيده أن يتكلم أو ينصت ،

ومن دون هذا الخادم يستحيل أن تظفر باهتمام أى سيد من (لابوتا) ، ما زال هذا التقليد ـ الذى اعتبره البعض خياليًا ـ يمارس على نطاق واسع اليوم ، لكن الأشخاص المهمين فى القرن العشرين لا يرافقهم (ضارب) ، وإنما يرافقهم من يطلق عليهم (المساعدون التنفيذيون) و(موظفو الاستقبال) و(سكرتارية الصحافة) .. إلخ .. قد تختلف المسميات لكن مهمتهم واحدة تجعلهم (ضاربين) .. مهمة كل منهم منع أى اتصال من العالم الخارجى بـ (الرجل العظيم) .. ويكون هناك دومًا صمام أمان عبارة عن أشخاص يمكنهم الوصول للرجل العظيم من دون المرور بالضاربين ، هؤلاء الأشخاص يحيطون أنفسهم كذلك بالضاربين ، بحيث يصير عسيرًا أن تصل إليهم بدورك ، وهكذا يتكون من يمكنهم عبور الحصار حول هذا الشخص ، وتتكون شبكة شديدة التعقيد .

قال دارسو قصة (جليفر) إن (لابوتا) حتمًا هى المريخ ؛ لأن وصفها بالضبط هو وصف الطبق الطائر ، لكن هذا غير صحيح ؛ لأن أهل (لابوتا) كانوا يعرفون نظام الضاربين ، فى حين لم يكن شىء كهذا واردًا لدى المريخيين . لو أن مريخيًا أراد أن يتأمل فلديه كل الوقت ليفعل ذلك .. ولو أراد مريخى آخر أن يتحدث معه فعليه أن ينتظر شهورًا أو أعوامًا أو ربما للأبد .. هناك لا داعى للعجلة أو التسرع .

كان (جوبال) يعرف هذا وهو يحاول الاتصال بالأمين العام .. كان يعرف أن ما بقى له من العمر ليس كثيرًا ، لذا حاول أن يستمتع به .. وكان يحرص على أن تمر كل لحظة بلا خوف وبلا أمل .. أراد لنفسه عشًا أكبر من برميل (ديوجين Diogenes) لكنه أصغر من قصر (قوبلاى خان Kubla) .. لهذا ظل صابرًا ، بينما سكرتير يحوله إلى سكرتير ثم إلى سكرتير .. برغم أن اسمه كان مهمًا .. هكذا لم يصلوه بالأمين العام ، لكنهم كذلك لم يجسروا على التخلُّص منه ، وكان يعرف أنه لو ذكر (الرجل من المريخ) لتم الاتصال فورًا ، لكنه كان يعتقد أن حياة (كاكستون) فى خطر ؛ لذا يجب عدم اللعب بهذه النقطة الحساسة .. فى النهاية ظهر على شاشة الهاتف وجه رجل عرف على الفور أنه شرطى ..

قال الشرطى فى صرامة :

ـ « د. (جوبال) .. أريد معرفة السبب الذى تريد الحديث مع الأمين العام لأجله .. »

ـ « اسمع يا بنى .. أنا أدفع الضرائب التى منها تتقاضى راتبك .. ومنذ الصباح يحولنى موظف أشبه ببقرة ذات مخ فراشة إلى موظف آخر .. ليس من شأنك أن تعرف لماذا

أريد الكلام مع الأمين العام .. وإن لم تكن لديك سلطة فصلنى بمن هو أعلى سلطة منك !! »

ـ « د. (جوبال) .. أرجو أن تجيب عن سؤالى .. »

ـ « لماذا ؟ لابد لى من أن أعرف أسبابك وأرى هويتك .. حتى فى عمليات المداهمة تتم هذه الإجراءات ، فهل أنت فى حالة مداهمة ؟ »

ـ « أنا أدعى (هاينريش) .. وأنت د. (جوبال هيرشو) .. تتحدث من ... »

ـ « هل استغرقتم كل هذا الوقت لأجل ذلك ؟ يمكن لأى شخص معرفة رقم هاتفى وعنوانى .. لو ذهبت لأية مكتبة أو فتحت أية جريدة لعرفت من أنا .. هل تقرأ ؟ »

واحتدم النقاش ، ثم أغلق السمّاعة ، وقرّر أنه ألقى بالطعم على الأقل ..

* * *

حلّقت السيارة الطائرة الأولى حول البيت ، ثم بدأت تهبط فى فسحة فى الحديقة جوار حمام السباحة .. أما الأخرى فراحت تحوم حول البيت ببطء وعلى ارتفاع منخفض ..

كانت السيارات الطائرة سوداء وعليها شعار رسمى : الكرة التى تمثل الاتحاد . كان (جوبال) يتوقع هذا ؛ لذا أمر سكرتيرته (آن) بأن ترتدى عباءة الشاهد العدل ، وأن تتابع كل تفاصيل المحادثة ..

اندفع (جوبال) نحو السيارة الأولى متوثبًا للقتال ، وصاح فى الرجل ..

ـ « أبعد هذه الكومة القذرة عن شجيرات وردى .. »

سأله الرجل :

ـ « جوبال هيرشو ؟ معى إذن تفتيش هنا .. »

هنا فقط عرف (جوبال) الرجل .. فنظر له فى ازدراء وقال :

ـ « أنت ؟ هل ولدت غبيًا يا (هاينريش) أم أنك احتجت لأن تتعلم هذا فى المدرسة ؟ ومنذ متى تعلم هذا الجحش الذى جاء بك إلى هنا الطيران ؟ صباح اليوم ؟ منذ مكالمتى معك ؟ »

التفت الرجل ببرود إلى رجاله ، وقال :

ـ « أبعدوا الطائرة عن الزهور .. كونوا أكثر حذرًا يا رجال .. »

ـ « هذا لا يعفيكم من طلب التعويض عن الأضرار .. والآن قدّم لى نفسك وهويتك بوضوح ونظام .. فأنا لا أعرفك .. تبدو لى كالأحمق الذى كان يكلمنى على الهاتف اليوم ، لكن هذا لا يثبت شيئًا .. أنا أتهمك بالتعدى على ممتلكاتى إلى أن تثبت العكس .. ولسوف أستعمل كل ما لدىّ من قوة لطردك خلال ثلاث دقائق .. »

ـ « لا أنصح بهذا .. »

ـ « هنا يصير ما تقومون به هجومًا منظمًا بأسلحة قاتلة ، لو كان هذا الذى تحمله بغالك أسلحة .. لسوف ينتهى الأمر بأن أستعمل جلدك ممسحة أمام بابى يا زميل .. »

ـ « ليكن .. سنفعل الأمر بطريقتك .. »

ووقف أمام (آن) ـ التى طلب منها (جوبال) أن تلبس روب الشاهد العدل ـ وذكر اسمه ورتبته ورقمه .. وكذا فعل كل رجاله .. كانت معه أوامر بضبط كل من (جوبال هيرشو) و(جيل) و(فالنتين مايكل سميث) .. والطريف أن (جيل) متهمة بخطف (فالنتين) ، أما (فالنتين) فمتهم بالفرار من البوليس ..

قال (جوبال) فى استمتاع :

- « أليس هذا غريبًا ؟ خطف أم هرب ؟ ومم هرب ؟ بأية تهمة ؟ »

- « كيف لى أن أعرف ؟ إنه هارب وكفى .. »

* * *

كان (فالنتين مايكل سميث) يسبح تحت مياه الحوض إلى ما تحت لوح الغطس ـ كما أمره (جوبال) عندما رأى الطائرات ـ وهو لا يعرف أنه مختبئ .. لقد أمره أخوه المائى بذلك ، وقال له أن يبقى حتى تأتى (جيل) وهذا كاف .. هكذا تكور حول نفسه فى وضع الجنين ، وأخرج الهواء من رئتيه ، وثنى لسانه للخلف ليسد حلقومه ، وخفض معدلات نبضه .. هكذا صار بالنسبة لنا ميتًا ، لكنه لم (يفقد اتحاده) بعد ، وما زال قادرًا على أن يعيد تشغيل نفسه لدى الحاجة لذلك ..

كان يشعر بأن إخوته المائيين فى مشكلة ما .. لكنه لا يستطيع أن يخالف أمر أخيه (جوبال) .. (جوبال) أمره أن يبقى تحت الماء .. هذا نموذج للغة البشرية الرخوة التى تتحمل أكثر من معنى .. (جوبال) أمره بالبقاء هنا ، لكن هل أمره بأن يظل مع جسده ؟ لا .. وفى هذه الحالة يمكنه أن ينفذ الأمر حرفيًا بأن يبقى جسده تحت الماء ويخرج هو ليرى !

لقد فعلها كثيرًا لكن ليس وحده .. كان هناك دومًا واحد من الكبار القدامى معه يشرف على العملية ، إلا أنه كان يعرف أنه سريع التعلم ، هكذا غادر جسده بعدما ألقى نظرة على كل جزء فيه ؛ ليتأكد من أنه فى أمان وأنه سيجده سليمًا عندما يعود ..

كان أول ما رآه هو سيارة طائرة تقف فوق العشب .. أليس هذا هو الخطأ ذاته ؟ الأكثر خطأ أن (جوبال) كان يركض نحو رجل .. وهو غاضب جدًا .. غاضب إلى حد لو مارسه مريخى مع مريخى آخر لتلاشى الاثنان فورًا .

قرب الرجال كانت السكرتيرة (دوركاس) .. وكانت خائفة .. جوارها كانت (ميريام) وكانت هادئة تضع ثقتها فى (جوبال) .. أما (آن) فكانت تلبس روبًا طويلاً وعقلها فى صورة غريبة .. صورة ذكرته بعقول الكبار القدماء على المريخ ، وهو شىء لم يستطع فهمه ..

رأى (جيل) تقترب من الماء ، وهنا رآها تصرخ وأحد هؤلاء الرجال يلاحقها .. كان الرجل يحمل سلاحًا ، وهذا شىء خطأ آخر .. كان قد وعد (جوبال) بألا يضيع الطعام ، لكنه كذلك لم يتحمل أن يرى أخا الماء فى ورطة ؛ لذا تخلص من الرجل الذى يهاجمها ..

أخرج الرجال الآخرون أسلحتهم وقد انتابهم غضب وذعر غير مسبوقين ؛ لذا كان عليه أن يلحقهم بمن سبق ..

راح يتفقد الطائرة فى حذر .. وفهم أنها مليئة بالأشياء الخاطئة .. لهذا أخفاها بدورها .

كان الجميع من أصدقائه فى حالة هياج .. (دوركاس) تبكى و (جيل) تحتضنها وتهدئها .. لقد ذهب الخطأ ..

كان يخشى أن يلومه (جوبال) ؛ لأنه ترك الحوض دون إذن ؛ لذا عاد إلى الماء وقد شعر بأن مهمته انتهت .. كان جسده هناك سليمًا كما تركه ، لذا عاد إليه ..

كان يتمنى أن يقضى الوقت فى تأمل وتوقير الرجال الذين تخلص منهم ، لكنه شعر بـ (جيل) تدنو منه تحت الماء ، أخرج لسانه من حلقه وتأهب للاستيقاظ عالمًا أن أخاه (جيل) لا يستطيع البقاء تحت الماء طويلاً ، فلما دنت منه وضع يديه على جانبى وجهها .. هذا شىء تعلمه مؤخرًا ولم يفهمه قط .. لكنه اعتاده ..

★ ★ ★

10

لم ينتظر (جوبال) حتى تخرج (جيل) طفلها المزعج من تحت الماء .. ونادى (ميريام) التى جاءته ملهوفة :

ـ « سيدى .. أنا .. »

ـ « اخرسى يا (ميريام) .. بعد أسبوع سوف نجلس حول (آن) ، ونطلب منها أن تفسر لنا ما رأيناه .. لكن فى هذه اللحظة سيأتى كل واحد مع ابن خالته إلينا .. ولسوف يسقط الصحفيون من فوق الأشجار ؛ لذا يجب أن أجرى بعض المكالمات .. هل أنت طراز المرأة التى لا يصير لها نفع حين نحتاج إليها ؟ »

ـ « كف عن استفزازى .. هذا الموقف يجعل أى واحد هستيريًا .. »

انطلق إلى مكتبه وهى خلفه .. كان يعرف أولاً أن ما حدث حدث بفعل (فالنتين مايكل سميث) وإن كان لم يره خارج الماء .. كما كان يعرف أن الاتصال بالأمين العام (دوجلاس) صار ضروريًا ، لكن كيف ؟ كيف يخترق حصار السكرتارية من حوله ؟ فكر فى (توم ماكنزى) مدير الشبكات الذى يتعامل معه .. هكذا طلبه على الهاتف المرئى وسأله عن كيفية الاتصال بالأمين العام .. فقال الرجل :

ـ « أنا شخصية معروفة ومهمة ، لهذا لا يطول الأمر .. يقوم ثلاثة بتحويلى إلى السكرتير الخاص وهو يصغى لموضوعى .. »

ـ « لكنى لا أريده هو .. أريد الكلام مع (دوجلاس) شخصيًا .. لربما كان السكرتير نفسه متورطًا فى الموضوع الذى لن أصرح به .. »

ـ « مستحيل .. ما لم يقتنع السكرتير الخاص بأهمية الأمر ، من ثم يعطينى موعدًا بعد يومين .. »

ـ « لكن لنفترض أنك تريد لقاء (دوجلاس) فورًا وشخصيًا .. »

ـ « مستحيل .. أحيانًا ـ لو كان الأمر حساسًا جدًا ـ أهدد بأن أوغر صدر الشبكة على الأمين العام .. »

ـ « إذن افعل هذا الآن .. »

ـ « مستحيل .. لا يمكن أن أفعل هذا لشخص آخر .. ليس الموضوع أننى لا أريد .. فقط أنا لا أستطيع .. »

ـ « حسن يا (توم) .. لن ألوى ذراعك .. لكن من الرجل الذى يملك السلطة للاتصال بالأمين العام متى أراد ؟ »

ـ « لا أحد يا (جوبال) .. »

ـ « اللعنة ! لا أحد يعيش فى فراغ ! »

ـ « حسن .. سأخبرك بمعلومة .. لكن لو تسربت منك فلسوف أقطع حلقك بأحد كتبك .. إن زوجة الأمين العام تؤمن بعلم الفلك .. ولها سيطرة شبه تامة على زوجها .. إنها تثق كثيرًا بعرافة تدعى مدام (ألكساندرا فيزان) .. ف .. ى .. ز .. ا .. ن .. ت .. يمكنك أن تتصل بهذه العرّافة ، ولربما احتجت إلى أن ترشوها .. »

ـ « شكرًا .. أنت أسديت لى عالمًا من الخدمات !! »

ووضع السماعة ثم طلب رقمًا آخر ، بعدما قام بتشغيل جهاز تشويه المكالمات .. والغريب أنه فى هذه المرة ظهر وجه مدام (فيزان) على الشاشة على الفور وبلا إبطاء .. رأته فهتفت :

ـ « (جوبال) ! أيها الوغد العجوز ! أين كنت ؟ »

ـ « مختبئًا يا (بيكى) ! إن المهرجين يقتفون أثرى .. أنا فى مشكلة ، ولن ينقذنى إلا أن أقابل الأمين العام الآن وحالاً .. لاحظى أنهم يقذفوننى بالطوب ، وأى شخص بقربى سوف يبتل بالماء .. هناك أمر فيدرالى بضبطى ولسوف يأتون فى أية لحظة .. أنا خائف من تلك الغرفة الخلفية التى يحملون

إليها المعتقلين .. لقد صرت أكبر سناً من الذهاب إلى الغرفة الخلفية .. ما أريده هو رقم هاتف يرد عليه الأمين العام .. رقم واحد .. »

هكذا وعدته بالتصرف وأغلقت الخط ..

★ ★ ★

صاحت السكرتيرة أن المزيد من الدوريات الطائرة قادمة إلى البيت ، فصاح (جوبال) :

ـ «أغلقوا الأبواب !! (جيل) لبيق (مايكل) معك ولايتحرك إلا بإذنك .. (مايكل) .. ابق مع (جيل) .. لاتقيدى حريته لو بدءوا فى إطلاق الرصاص حتى لا يقتل أحدنا .. لكن مسلسل اختفاء رجال الشرطة هذا يجب أن يتوقف .. »

هنا دوّى جرس الهاتف ، وظهر على الشاشة وجه يقول :

ـ «د. (جوبال) .. إن الأمين العام سيكون معك حالاً .. »

لقد فعلتها (بيكى) البارعة ! وبعد ثوان ظهر وجه الأمين العام نفسه على الشاشة ..

ـ «د. (جوبال) .. عرفت أنك تريدنى لأمر مهم .. هيا .. تكلم .. »

قال جوبال فى هدوء :

ـ «حسن يا سيدى الأمين العام .. الواقع أننى محامى الرجل من المريخ ! »

ـ «ماذا ؟ »

ـ «نعم .. أنا محامى (فالنتين مايكل سميث) .. ربما تفكر فىّ كسفير فعلى عن المريخ .. »

ـ «لا بد أنك جننت .. رجل المريخ هو فى الإكوادور الآن .. »

ـ «سيدى .. لا أحد يسمع هذه المحادثة ، وأنت تعرف كما أعرف أن رجل المريخ ليس فى الإكوادور ، وأن اللقاء التليفزيونى كان مزيفًا .. الرجل حصل على حريته من سجنه غير القانونى ، ولسوف يحتفظ بها .. ولو كان أحدهم أخبرك بشىء آخر فهو كذاب .. لهذا طلبت لقاءك بشكل خاص .. »

هنا دوّى صوت عال من أسفل فقال (جوبال) :

ـ «فى هذه اللحظة بالذات .. رجال الجستابو الخاصون بك .. هؤلاء البلطجية .. يقتحمون بيتى .. والآن هل نسوى هذا الموضوع بشكل ودى هادئ ، أم نتصادم أمام المحكمة العليا مع كل الفضائح الناتجة عن هذا ؟ »

تبادل الأمين العام كلامًا هامسًا مع شخص بجواره ، ثم عاد يقول :

ـ « أؤكد لك أنه لا علم لى بقيام رجال العمليات الخاصة بملاحقتك .. »

ثم أدار (جوبال) الكاميرا ليظهر فيها (مايكل) و(آن) و(جيل) .. لم يقدم (آن) ، لكن روبها الأبيض بدا واضحًا على مهنتها .. وأمر السكرتيرات :

ـ « افتحوا الباب ودعوهم يدخلوا .. تعال هنا أيها الرقيب .. »

كان ضابط العمليات الخاصة قد خل الغرفة وسلاحه فى يده ، فاستدار ينادى الميجور .. فلما دخل هذا الأخير الغرفة هتف به (جوبال) :

ـ « تعال وكلّم الأمين العام على الشاشة .. »

ـ « لا شىء من هذا .. أنت تحت الاعتقال .. »

ثم رأى الشاشة فأصابه الذهول .. تصلّب وأدّى التحية .. فسأله (دوجلاس) :

ـ « الاسم والرتبة .. »

أعلن الميجور بياناته .. وقال إنه جاء يبحث عن مجموعة سابقة جاءت هنا لبعض الاعتقالات ، لكن أحدًا من أفرادها لم يعد أو يتصل بهم .. هنا نظر الأمين العام إلى (هيرشو) متسائلاً ، فقال :

ـ « لست مسئولاً عن رجالك ، ولست مربية مكلّفة بسلامتهم ، لكن مما رأيته من ذكاء هؤلاء أعتقد أنهم ضلوا الطريق .. إنهم عاجزون عن العثور على خنزير فى مغطس الحمام .. وأنا أطالب بأن أرى طلب الضبط الذى معهم .. »

قال الميجور فى ارتباك :

ـ « سيدى .. هناك أمر ضبط .. عدة أوامر .. لكنها كانت مع الضابط (هاينريتش) وهو قد اختفى .. »

قال (دوجلاس) على الشاشة مغضبًا :

ـ « ماذا ؟ تقتحم بيت هذا المواطن من دون أمر ضبط ؟ عد إلى قسم الشرطة وضع نفسك فى الحجز حتى أنظر فى أمرك .. والآن انصراف .. »

وهكذا دارت المفاوضات مع الأمين العام .. سوف يسقط أوامر اعتقال أصدقائنا ، وفى المقابل ستتم مفاوضات ..

مفاوضات أصر (جوبال) على أن تكون علنيـة تغطيهـا الشبكة التى يتعامل معها .. وكذلك أصر على الإفراج عن (كاكستون) .. لـم يبـد الأميـن العـام علـى علـم بمكـان (كاكستون) ، لكنه كان يأبى بإصرار أن يحضر المفاوضات ، فهو صحفى مشاغب وعموده مزعج دائمًا ..

ـ « سيدى .. قلت من قليـل إن رجـالك عـاجزون .. كنـت منفعلاً بسبب اقتحـامهم بيتـى ، لكنـى مؤمـن بكفـاءتهم .. لو كلفتهم بالبحث الجدى عن (كاكستون) فلسوف يجدونـه أو يجدون جثته خلال ساعات .. »

★ ★ ★

هكذا بدأ رجال الصحافة والإعلام يتوافدون على البيت ، وكان (جوبال) فى حال من الرضا التام عـن النفس .. لقد ربح المعركة .. ولم يلبث أن اتصـل بـه الأمين العام يبلغه أنهم وجدوا (بن كاكستون) ..

ـ « لماذا لم تخبرنى أنه مدمن خمر ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « لقد وجدوه وحيدًا فى حديقـة عامة فى (سونويا) ..

يبدو أنه كان يمر بنوبة شرب .. يقولون إن حالته مزرية .. ذقنه غير حليقة .. ثيابه قذرة .. رائحته كالعفن .. لكنه قادم إليك حالاً على ظهر سهم طائر .. سيكون عليك أن تعطينـا إيصالاً باستلامه .. »

ـ « شكرًا لك سيدى .. شكرًا على كل شىء .. »

بعد قليل وصلت طائرة تقل (كاكستون) .. بـالفعل كـانت حالتـه مزريـة .. وقد هرع (جوبـال) يحتضنـه ، وسـأله عما حدث له .. فقال (كاكستون) :

ـ « أنا ثمل .. لكن .. لكن لم أشرب خمرًا .. »

ـ « إذن ماذا حدث ؟ »

ـ « لا أعرف .. »

بعد قليل تـم إفراغ معدة (كاكستون) .. لـم يكـن فيهـا إلا الكحول وعصارة معديـة .. لا طعام .. وحقنـه (جوبال) بعقار يخلصه من أثر الكحول ، ثم جعلوه يغتسل وجلبوا لـه ثيابًا نظيفة .. ثم جلس يشرب اللبن ويأكل طعامًا خفيفًا ..

حاولوا أن يعرفوا منه ما حدث ، لكن بالنسبة له لم يكـن للأسبوع الأخير وجود ..

- « لا أذكر إلا أننى فقدت وعيى فى سيارة أجرة .. بعد هذا لا أستطيع أن أقسم على شىء .. كانت هناك مزرعة وسيدة .. كانوا يخدروننى طيلة الوقت .. وفى النهاية جعلونى أفيق فى حالة أقرب إلى الثمل .. لكن .. بالفعل لا أذكر ما حدث .. »

قال (جوبال) مهدئًا من روعه :

- « دعك من هذا .. أنت حى .. وكان بوسعى أن أراهن على عكس هذا .. سوف يقوم (دوجلاس) بما نطلبه منه ، ويحب ذلك .. »

وبعد قليل كان (كاكستون) فى فراشه يغط فى نوم عميق ، بعدما شرب كوبًا من اللبن الدافئ ..

كان (جوبال) نفسه بحاجة إلى الشىء ذاته .. لقد كان يومًا طويلاً ، ما كان يتمنى أن يفوته ، لكنه لا يتمنى أن يتكرر أبدًا ..

★ ★ ★

11

فى اليوم التالى قضى (كاكستون) وقته يستعيد قواه ويعرف تفاصيل ما فاته من (جيل) .. وللمرة الأولى يقترب من (مايكل) إلى هذا الحد .. كان الشعور الغالب عليه نحو (مايكل) غامضًا ، وإن قدّر أنه الغيرة ببساطة .. إن تقارب (جيل) مع الرجل القادم من المريخ لم يكن مريحًا له .. وفى هذه المرة أدرك أنه يرغب فعلاً فى أن يتزوج (جيل) ، وقد طلب منها هذا بلا إبطاء وبلا أية نغمة مازحة فى الأمر .. فقالت له :

- « أرجوك يا (بن) .. »

- « ولم لا ؟ إننى قادر على الإنفاق .. ولدى عمل جيد .. صحتى طيبة أو ستكون كذلك .. عقاقير الحقيقة التى ملئوا دمى بها ستزول .. وإن كانت لم تزل تمامًا بعد ، لذا أصارحك بأنى أحبك .. هل أنا أكبر سنًا مما يجب ؟ هل أنا أقل مما يجب ؟ »

قالت فى حرج :

- « (بن) .. أرجوك لا تعقد الأمور .. فقط لدىّ .. مسئوليات الآن .. »

حاول أن يعزى نفسه بأن الفتى من المريخ ليس منافسًا بل هو مريض .. على كل من يتزوج ممرضة أو طبيبة أن يقبل اهتمامها الأمومى بالمرضى .. وقد قبل طقوس الماء من (مايكل) فى رضا وترحيب .. ولم ينكر أن فى (مايكل) شيئًا يجعلك تحبه منذ اللحظة الأولى .. وتتمنى أن ترعاه للأبد ..

كان (جوبال) يعرف أن (دوجلاس) متورط فى اختفاء (بن) .. ربما تم الأمر بأمر منه ، ولربما أعد العدة لقتله .. لكن قد صار عليه الآن أن يتناسى هذا ويتأهب للمفاوضات المرتقبة .. ثم إنه لا يستطيع إثبات ذلك .. لو أن رجل شرطة ضرب متهمًا بعنف ، فهناك فرصة لا بأس بها ، لكن مدير الأمن نفسه لا يعرف شيئًا عن هذا ، ولم يقره .. وقد قال لـ (بن) :

ـ «أعتقد أن السبب الوحيد لبقائك حيًا هو أن (دوجلاس) لم يرد قتلك ، وإلا لجففوك مما لديك من معلومات ، ثم تخلصوا منك بجهد لا يزيد على التخلص من فأر ميت فى المرحاض .. لماذا لم يفعلوا هذا ؟ لأن رئيسهم لم يرد ذلك وهم لم يريدوا المخاطرة بمناصبهم .. »

* * *

فى العاشرة من صباح اليوم التالى .. هبطت طائرة الوفد المفوّض عن المريخ الذى نظمه (جوبال هيرشو) خارج القصر التنفيذى .. ولم يكن المطالب الساذج بعرش المريخ (مايكل سميث) قلقًا بصدد الرحلة .. لقد استمتع بكل لحظة من الطيران كأنه تحت سطح الماء .. وقد راحت السكرتيرتان (دوركاس) و(ميريان) تشرحان له كل شىء يراه .. كانت المرة الأولى التى يرى فيها مدنًا ويستوعب كوكب الأرض بدقة .. لأن هذه الفرصة لم تتح له منذ كان فى المستشفى حتى وصل شقة (بن) .. ثم بيت (جوبال) الذى تحيط به الأسوار .. وقد رأى (واشنطن) من الجو فقدّر أن عمرها قرنان .. هذا هو الوقت الذى تتحلّل فيه المدن وتتحول إلى تراب .. إن المدن كما يعرفها هو ليست إلا بيضة ..

هبطت الطائرة خارج القصر ، وطلب الحراس من (جوبال) والآخرين أن يتجهوا إلى قاعة جانبية حتى بدأ المؤتمر .. لكن (جوبال) أصر على أن يدخلوا قاعة المؤتمرات التى تعجُ بالصحفيين حالاً .. وكانت فكرته هى أنه يريد أن يرى الجميع (مايكل) ، ويلتقطوا له الكثير من الصور ، قبل أن ينفرد به الأمين العام .. كلما كانت هناك ضجة إعلامية كان هذا أفضل ..

ما إن رأى الصحفيون (مايكل) حتى حاصروه .. وقد سبق أن قال له (جوبال) إن البشر يتصرفون أحيانًا تصرفات شبه مجنونة .. حاول بعض الصحفيين أن يسألوه عما إذا كان يفهم معنى كلمة (وراثة) و(ملكية)، لكنه كان يعرف أن عليه ألا يدلى برأى مباشر .. لذا كان يردد غيبًا صفحات كاملة من تعريف الملكية من كتب القانون، بنفس دقة ورتابة وملل أحد أساتذة القانون الكبار ..

كانت الضوضاء قد بدأت تخيف (مايكل)، لولا أنه رأى أن إخوته المائيين غير خائفين .. فجأة رأى شخصًا يدخل القاعة عرفه على الفور فصاح :

ـ «أخى د. (محمود) !»

وراح يتكلم بحرارة وبلا توقف باللغة المريخية .. لحق به كبير المترجمين ووقفا معًا يتكلمان بتلك اللغة غير البشرية التى تتخللها أصوات تشبه صوت خرتيت ينطح عربة لورى .. تحمّل الصحفيون قليلاً، ثم سألوا (محمود) عما يقوله .. نظر لهم وابتسم وقال بلهجة أكسفوردية :

ـ «أكثر الوقت أطلب منه أن يتمهّل فى الكلام قليلاً لأفهم ! أما باقى المحادثة فشخصى تمامًا ولا يهمكم فى شىء ..»

لم يحب (جوبال) (محمود)؛ لأنه بدا على قدر من التصنع والتأنق الزائد .. لكن (مايكل) يعتبره صديقًا، إذن هو صديق حتى يثبت العكس، بينما رأى (محمود) أن (جوبال) غير مهندم وريفى نوعًا .. وكان يؤمن أن كل العلماء الأمريكيين ناقصو العلم وغير متحضرين .. لكن (مايكل) قدّم له كل هؤلاء باعتبارهم إخوته وعليه أن يقبل هذا .. لقد رأى المريخ وعرف ما يعنيه المريخيون بالعلاقات الشخصية .. هذه بديهيات هناك لا علاقة لها بالهراء الأرضى عن (الأشياء التى تشبه الشىء الواحد تشبه بعضها) ..

قدم له (هيرشو) سكرتيراته .. وقدمت له (جيل) نفسها بالمريخية مستعملة ذات الطبقات الصوتية للفظة (أخ مائى) .. فحياها بنفس اللغة، وكانت هذه واحدة من تسعة أصوات مريخية تستعملها بكفاءة، والسبب هو أنها تسمعها عدة مرات يوميًا .. صبّت (جيل) كوبًا من الماء من دورق على المنضدة ورشفت منه رشفة، ثم ناولته لـ(محمود) وقالت :

ـ «عشى هو عشك ..»

رشف رشفة ، ثم ناول الكوب لـ (جوبال) الذى رشف رشفة أخرى وقال :

- « دعك لا تظمأ بعد الآن أبدًا .. »

ثم ناول الكوب لـ (دوركاس) التى قربت الكوب من شفتيها .. وقالت لـ (جوبال) :

- « هل تعرف جيدًا أهمية هذه الطقوس لـ (مايكل) ومن ثم لنا ؟ »

- « طبعًا وإلا ما شربت .. »

هكذا رشفت رشفة وقالت وقد دمعت عيناها :

- « لتكن شربتك عميقة .. الماء .. الحياة .. أخونا .. ليكن عشك عشى .. »

ثم ناولت الكوب لـ (ميريام) .. راقب (محمود) هذه الطقوس فى رضا ؛ لأن (مايكل) يحبها .. وإن كانت تشعره بنوع من الوثنية كلما رآها .. هنا جاء رئيس البروتوكول يطلب من (محمود) أن يجلس عند طرف المائدة كما هو محدَّد له ؛ لأن الأمين العام آت حالاً .. لكن هذا رفض وأصر على أن يجلس جوار أخيه المائى (مايكل) ..

قال (جوبال) لرئيس البروتوكول :

- « اسمع يا بنى .. صديقى د. (محمود) سيجلس حيثما أراد .. ولا شأن له ببروتوكولك .. أنا د. (جوبال هيرشو) وإن لم تكن تعرف اسمى فإن بوسعك تمزيق هذه القائمة التى تحملها .. »

- « يجب على د. (محمود) أن يجلس خلف الأمين العام ليكون قادرًا على الترجمة .. هذه المائدة مخصصة للوزراء وكبار القضاة .. »

كان من الواضح أن (جوبال) لن يتزحزح .. بل إنه هدَّد بالرحيل ، ومعنى هذا ببساطة أن يفقد الرجل منصبه .. هكذا استسلم لما يقوله (جوبال) ..

رتب (جوبال) بعض التفاصيل مع مدير البروتوكول .. كان يريد أن يوضع العَلَمُ الذى لفقه كأنه علم المريخ جوار (مايكل) ، وأن تعزف الفرقة السلام الوطنى للمريخ .. طبعًا كان هذا اللحن ملفقًا بدوره لا يعدو النغمات الأولى من مقطوعة أرضية هى (الكواكب العشرة) ..

وهكذا أعلن الحاجب وصول السيد الأمين العام رئيس الولايات المتحدة .. مد (جوبال) يده ينبه (مايكل) للنهوض

على حين دخل (دوجلاس) القاعة واتَّخذ مقعده عند طـرف المائدة ، هنا بلمسة أخرى من يده جعل (جوبال) (مـايكل) يجلس .. النتيجة هى أن الأمين العام ورجل المريخ جلسا قبل أن يجلس أى واحد آخر فى القاعـة .. كـان (جوبـال) يريد أن يعطى لقاء (مايكل) مـع (دوجلاس) طابع لقـاء ندين .. وحينما عزفت الفرقة المقطوعة الزائفـة (السلام الوطنى للمريـخ) هب (جوبال) واقفًا فـى احترام ، فهب (دوجلاس) بـدوره .. وهكذا نهض كل واحد فى القاعة احترامًا لهذا الرمز الوطنى المريخى ..

رحب (دوجلاس) بـ (مايكل) وإن لم يتضح من كلماتـه ما إذا كـان يعتبر (مـايكل) سفيرًا للمريـخ أم مجرد سـائح عائد للأرض .. ووقف (مايكل) بدوره فتكلم بالمريخيـة ثم ترجم ما قال :

- «سيدى أمين عام اتحاد الدول الحرة لكوكب الأرض .. »

ثم عاد يتكلم بالمريخية :

- « نشـكرك على حفاوتـك بنـا .. نحن نجلب لـك تحيات القدامى على كوكب المريخ .. »

كانت هذه فكرة (جيل) .. تبديل اللغات أثنـاء الخطـاب ، وقد راقت لـ (جوبال) ؛ لأنهـا تضفى على خطبة خالية مـن المعنى طابعًا مؤثرًا كأنها أوبرا لـ (فاجنر) ..

قال (جوبال) للأمين العام بعدما انتهت المراسم :

- «سيدى .. إن أمام (مايكل) الكثير ليتعلمه هنا ، لأنـه لا يعرف الكثير عن قوانين الملكية .. أنـا رجل شيخ ولا يوجد أمامى وقت طويل كى أعلمـه .. لهذا يطلب منـك (مايكل) رسميًّا أن تقبل أن تكون محاميه وتتولَّى أملاكه ! »

بدا الذهول على الأمين العام وقال :

- « هذا طلب صعب يا دكتور .. »

- « أعرف يا سيدى .. قلت له إنك أكثر الرجـال انشـغالاً على ظهر الأرض ، لكن هذا لم يؤثر فيه .. يبدو أنـه على المريخ ، كلما ازداد انهماك الرجل توقع منه النـاس أكثر .. لقد طلب منى أن أسألك .. وهو لا يتوقع إجابة الآن .. وهذه عـادة مريخيـة أخرى : هم لا يتعجلون أبـدًا .. كمـا أنهـم لا يطلبـون عقـودًا وتوكيـلات .. هـذه نقطـة أخـرى لـدى المريخيين : متى وثقوا فيك فعلوا هذا لأقصى مدى .. وهـذا الرجل ليس موجهًا للأمين العام بل هو موجـه لـك بشكل شخصى .. أى أنه حتى بعد انتهـاء فترة خدمتك فإن من يأتى بعد لا علاقة له بـالموضوع .. وفـى حالـة عدم قبولـك سيكون علىَّ أن أعهد بالموضوع للسيد (بن كاكستون) .. »

كان الأمين العام مرتبكًا ، لذا قال :

ـ «لن أعطى إجابتى حالاً .. لكن هل هذه رغبتك فعلاً يا (مايكل) ؟»

كان (مايكل) معدًا لهذا السؤال ، لذا وقف وقال بصوت عال واضح :

ـ «نعم يا سيدى .. أرجوك أن تقبل .. »

وطالت المناقشات حتى شعر (جوبال) أنه مرهق ، لذا طلب إنهاء هذا اللقاء إلى أن يتخذ الأمين العام قراره ..

* * *

12

فى الفندق الذى اختاره (جوبال) عشوائيًا ـ حتى لاتكون فيه أجهزة تنصت ـ دارت مناقشات طويلة بينه وبين (محمود) حول معنى كلمة Grok التى يستعملها (مايكل) كثيرًا ..

قال (محمود) فى حيرة :

ـ «إنها كلمة غامضة .. لو أردت أن أشرحها لكتبت مجلدًا كاملاً ، وبرغم هذا لن أتمكن أبدًا من ذلك .. إنها تضم معانى الفهم الشامل والاحتواء .. أنت تعرف أنه من العسير على غربى أن يفهم القرآن جيدًا ما لم يلم بالعربية جيدًا .. مهما كانت الترجمة جيدة ، فلابد لك كذلك من أن تملك ثقافة وخلفيات عربية لتفهم حق الفهم .. عندما تعلمت الإنجليزية كنت أستعملها جيدًا ، لكن ظل جزء منها غامضًا بالنسبة لى إلى أن عشت فى الغرب فترة ، وتعلمت جزءًا من خلفيتكم الثقافية .. لهذا من الصعب علينا أن نفهم لفظة Grok ما لم يكن جزء منا مريخيًا .. لو أردت الترجمة الدقيقة للفظة فهى تعنى (يشرب) !»

هتف (جوبال) فى دهشة :

ـ «لم يمارس (مايكل) قط شيئًا له علاقة بالشرب وهو يستعمل هذه اللفظة .. »

هنا تدخل (مايكل) فى المحادثة :

ـ «Grok هى الشرب .. »

قال (محمود) :

ـ «من العسير أن تفهم العلاقة .. لكنها تحمل معنى تسرب الفهم إلى داخلك .. اللفظة أيضًا تعنى الحب الشديد وتعنى المقت .. لا يستطيع المريخى أن يكرهك فعلاً ما لم يستوعبك ، وفى هذه الحالة فإنه كذلك يحبك بينما هو يكرهك .. لقد فهم المريخيون منذ زمن ما احتجنا نحن إلى قرون لفهمه : لا يمكنك أن تلاحظ شيئًا دون أن تتأثر به أنت نفسك .. لا يمكنك أن تكون ملاحظًا محايدًا .. ولو أننى قمت بفرمك وصنعت منك يخنة وأكلتك ، فإننى قد قمت بعملية Grok لك ، ولا يهم هنا من الذى أكل الآخر .. »

هنا تدخل (مايكل) ثانية :

ـ «معك حق .. أنت إله يا أخى (محمود) .. »

هنا هزّ (محمود) رأسه وقال لـ (جوبال) :

ـ «هل فهمت ؟ لسنا مريخيين فلن نظفر من هذه المناقشة إلا بالتجديف والكفر .. لن نفهمهم أبدًا .. »

هنا سأل (بن) (جوبال) عن السبب الذى جعله يطلب من (دوجلاس) أن يدير أمور الفتى المالية .. قال (جوبال) :

ـ «يجب أن يعرف الجميع أن (مايكل) لا يملك أملاكه .. ولو مات (مايكل) فإن الثروة تكون مسئولية (دوجلاس) بالكامل .. هذه هى طريقتى لحماية حياة الفتى .. لقد جردته من ثروته ، ولو استطعت لجردته من أية أهمية سياسية .. (مايكل) لا يبالى بالمال ولسوف يعوقه .. الثراء الشديد كارثة خاصة لو لم تكن أنت مخلصًا للمال تكرّس حياتك لجمعه .. أنا لست من هذا الطراز ، ولا أبالى (بجمع المال) وإنما أنا مهتم (بإنفاقه) .. أريد أن أُترك وشأنى ، وأن أقضى ما بقى لى من عمر أمارس حياتى الكسول الفارغة .. (دوجلاس) كذلك لا يبالى بالمال .. إنه يهتم فقط بالقوة السياسية وهى نغمة لا تستطيع أذنى سماعها .. »

★ ★ ★

الجزء الثالث

عن تعليمه العجيب

13

عند أحد طرفى مجرة حلزونية قرب نجم يدعى (سول)، راح نجم آخر قريب يمرُّ بتحوُّلات كارثيـة ليتحـول إلـى (نوفا nova)، ولسوف تتبدى عظمة المشهد على كوكب المريخ خلال 729 عامًا أو 1370 عامًا أرضيًا .. وقد قـال الكبار للصغار إن هذا الحـادث مفيد، لكنهم لم يكفوا عن مناقشة الحادث فيما بينهم، بكل ما فيه من تطورات خطيرة أدت لهلاك الكوكب الخامس .. وكـان الاثنـان وعشـرون أرضيًا الذين جاءوا على السفينة (شامبيون) والذين بقوا على المرّيخ، يمارسون حياتهم بشكل عـادى فـى بيئـة معادية، وإن لم تكن أسوأ من قارة (أنتاركتيكا) علـى الأرض .. وقد مـات أحدهم بما يعتقد أنـه (تحطـم قلـب) أو (حنين للوطن)، وقد التف حوله المريخيون يمجدونـه، ثم أعادوه إلى حيث ينتمى .. وبصرف النظر عـن تلـك الحادثة ظل الأرضيون يمارسون حياة طبيعية ..

بدأت الصحافة تفقد اهتمامها بـ (مايكل)، وقد كف عـن أن يكون مصدرًا متجددًا للأخبـار .. وقد حرص (جوبـال) علـى أن يبقـى علـى خصوصيـة الفتـى .. وإن ظـل رجـال الشرطة السرية يحاصرون بيته .. وحرص (جوبال) كذلك على أن تمر المكالمات الهاتفية بوسيلة انتقائية تسمح لعدد محدود جدًا منها بالوصول ..

أما البريد فكان مشكلة حقيقيـة بسبب كثرة الخطابات، دعك من أن أحد الطرود انفجر قبل الموعد فى مكتب البريد وأحدث فوضى عامة .. فكر (جوبال) فى أن يفحص خبراء المفرقعات كل الطرود قبل فتحها، ثم وجد أن (مايكل) يستطيع عـن بعد تمييز الطـرود التـى (بها شىء خطأ) .. هكذا كـان يجعلها تختفى على الفور، ووجد (جوبال) أن هذا أفضل مَن فتـح الطرود تحت الماء أو تصويرها بالأشعة السينية ..

بعض الخطابات كانت عروض زواج، وبعضها كـان جريئًا يحوى ما هو أكثر من صور صريحـة، وقد قـالت (جيل) لـ (جوبـال) إنهـا ستتخلص مـن هـذه الخطابات بمـا فيهـا، فقال وهو يتأمل إحدى الصور :

ـ «فتاة جميلة لكن لا بد من أن أعترف أننى عرفت مـن هن أفضل .. هل الخطاب موجه لك أم له ؟»

ـ «له طبعًا ..»

ـ «إذن ليس من حقك أن تعمى خطابًا موجهًا له ما دمت لست أمه .. لسوف يكبر الفتى .. لن يظل فى هذا البيت كما يحفظون الحيوانات المعقمة فى مختبرات (نوتردام) .. لا بد له من أن يواجه العالم الخارجى بما فيه من قذارة .. سوف يخرج للعالم ولسوف يقابل كاتبة الخطاب أو شقيقتها التوءم .. سوف يرى الكثير .. أنا أعرف أنه سيعيش بعدى ربما ستين أو سبعين عامًا ، فلن يبقى هذا المهد مفتوحًا له للأبد .. يجب أن يتخذ قراراته بنفسه إذا أردنا ألا يسقط فى قبضة أول مائة امرأة تعجب به .. »

الحقيقة أن (مايكل) لم يكن يفهم الجمال الأنثوى قط ، وبالنسبة له كان يهتم بالمرأة نفس اهتمامه بفراشة غريبة .. عن جمال الوجوه كان يرى أن (جوبال) له أجمل وجه ممكن .. أما النساء فلهن وجوه تشعر بأنها لم تكتمل بعد ، وكلها متشابهة ..

النشاط الثانى الذى تعلّمه (مايكل) كان شراء الهدايا لمن يحب .. كانت هذه هى الطريقة التى تفتّق عنها عقل (جوبال) لتعليم (مايكل) القيمة الحقيقية للمال .. لقد احتاج إلى جهد جهيد كى يشرح للفتى معنى المال ، وكيف أن الدولارات ليست مجرد أوراق ملونة جميلة المنظر ..

* * *

بناء على دعوة من السيناتور (بون) ، اضطر (جوبال) والسكرتيرات و(جيل) إلى اصطحاب (مايكل) إلى جماعة (فوستر) ، وهى جماعة دينية غريبة الأطوار تتمتّع بنفوذ هائل فى البلاد ، ولهذا كان من العسير مناصبتها العداء .. لكن (جوبال) كان يسخر منها فى سره .. فهم يزعمون أنهم يتكلمون مع السماء هاتفيًا ، ويعتقدون أنهم احتكروا الحقيقة ووكلاؤها الوحيدون ، كما أنهم يؤمنون بأن مؤسس الجماعة (فوستر) هو رئيس الملائكة وقد نزل من السماء وتجسد .. وكان (جوبال) يعرف أن لهذه الجماعة هدفين من دعوة (مايكل) .. بما أن (مايكل) هو أغنى رجل فى العالم ـ باعتباره يمتلك كوكبًا بأكمله ـ فهم يريدون ماله .. وهم كذلك يريدون ضمه لجماعتهم .. لأن فى هذا نصرًا عظيمًا لهم ..

هناك قابلهم السيناتور (بون) والسيجار فى يده ، واقتادهم إلى قاعة داخلية فاخرة كتب على بابها : «ممنوع دخول الخطاة .. هذا يعنيك أنت !! »

كانت هناك موسيقا لم تتبينها (جيل) فى البداية ، ثم عرفت أنها موسيقا (الأجراس المجلجلة) وإن تمت إضافة طبول كونغولية إليها ..

كانوا يحتفظون بجثة (فوستر) الكاهن العجوز للجماعة محنطة، محفوظة بشكل يوحى بأنه حى، وقد جلس على عرش عال .. وكان (مايكل) متوترًا طيلة الوقت .. دنا من (جيل) وهمس فى أذنها بالمريخية :

- «هل هذا واحد قديم ؟»

ردت عليه باللغة التى بدأت تجيدها :

- «لا يا (مايكل) .. ليس كما تعتبرونهم على المريخ ..»

- «هناك خطأ هنا .. أشعر بالكثير من الخطأ ..»

سألها (بون) :

- «ماذا يقول أيتها السيدة الصغيرة ؟ ماذا كان سؤالك يا مستر (سميث) ؟»

- «لا شىء يا سيدى .. هل لى أن أخرج من هنا ؟ أوشك على فقدان الوعى ..»

كان هناك ضوء يتحرك على الوجه الميت، ليعطى العينين بريقًا ويبدو الوجه كأنه يتحرك .. قال (بون) :

- «هذا هو ما تشعرين به أول مرة .. لأنك تشعرين بخطاياك .. بعد هذا تصير هذه القاعة أجمل مكان فى العالم .. كثيرًا ما آتى هنا لأدخن سيجارًا وأتأمل كلما شعرت بانخفاض معنوياتى ..»

كان ما يقلق (جيل) هو عدم ارتياح (مايكل) للمكان، وخافت أن يقدم على شىء يتسبَّب فى إعدامهم أو ما هو أسوأ .. لكن (مايكل) كان يشعر بخيبة أمل .. لقد توقَّع أن هذا (واحد قديم) فاكتشف أنه ليس سوى طعام فاسد .. الأسوأ هو لقب (السيدة الصغيرة) الذى يناديها به (بون) .. وقد قال لها (جوبال) فيما بعد : ما دام اللقب يغيظك فلماذا لم تبصقى فى وجهه ؟ إنه يريد (مايكل) لهذا هو مضطر للتعامل معنا بلطف وتهذيب ..

اتجهوا نحو الملاذ، فاعترض طريقهم حارسان بثياب مزركشة يحملان الحراب .. فقال (بون) إن هؤلاء ضيوفه .. وهكذا ظهر حاجب متأنق ودعاهم إلى مقصورة تطل على مسرح .. وهى مقصورة مريحة جدًا بها مقاعد قابلة للضبط، ومنفضات تبغ ومناضد عليها مختلف المرطبات ..

وعلى المسرح وقف كاهن شاب يخاطب الجالسين مع الإيقاع الموسيقى :

- «هلموا ! حركوا مؤخراتكم .. هل تريدون أن يأتى الشيطان فيجدكم نيامًا ؟!»

شكّل الراقصون أنفسهم فى شكل ثعبان طويل يزحف عبر القاعة ، وراحت الأقدام تقرع الأرض مع الإيقاع ، وشعرت (جيل) بنوع من الطرب ، لهذا ودت لو تنضم لهذا الثعبان الطويل ..

كانوا يغنون :

ـ « نحن سعداء .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « لأن (فوستر) يحبنا ! »

وقف الرجل من جديد وقال :

ـ « أول نشيد لنا تموّله مخابز (مانا) التى تصنع (خبز الملائكة) .. رغيف المحبة ووجه زعيمنا الباسم على كل مغلف .. فليذهب طفلك إلى المدرسة غدًا ومعه حلوى (فوستر) .. وليقد كل رغيف خاطئًا آخر إلى النور .. »

وبدأ الإنشاد ، وراح الثعبان يتلوى من جديد ..

النشيد الثانى (الوجوه السعيدة مرتفعة) تموّله متاجر (داتلباوم) حيث يتسوّق الناجون من الخطيئة .. يوجد قسم خاص للأطفال تشرف عليه أخت ناجية ..

كل هذا أثار دهشة (مايكل) ، لكن الإيقاع والمؤثرات أشعرته بإثارة لا حد لها ..

كان هذا كافيًا بالنسبة لـ (جوبال) الذى قرّر أن ينصرف مع رفاقه ، لكن (بون) بدا غير مصدق .. من المستحيل أن ترحل من دون أن تقابل (الكاهن الأكبر) شخصيًّا .. إنه بانتظاركم .. واقتادهم إلى مصعد صغير فى نفق .. وبعد دقائق كانوا ينتظرون الرجل فى بهو كبير ..

انفتح الباب ودخل رجل قصير القامة هو (ديجبى) الكاهن الأكبر للجماعة ، وكان غارقًا فى العرق ؛ لأنه شارك فى الطقوس السابقة .. تذكره (جوبال) على الفور وإن بدا كأنه كان أطول قائمة بفعل خداع الأضواء .. ولم يمنع نفسه من الشعور بأنه تاجر سيارات مستعملة بابتسامته المداهنة الجاهزة .. كانت هناك منضدة تراصت عليها الوجبات ، فراح (جوبال) يأكل بنهم ..

راح الكاهن الأكبر يعرض عليهم بعض آثار (فوستر) العظيم فى واجهة زجاجية .. انهمك الجميع فى مشاهدة هذه الأشياء ، وراق لـ (جوبال) تعبير الاستهجان الذى ظهر على وجه (جيل) ، لكنها تحاول مداراته .. هنا لاحظ أن الكاهن الأكبر و(مايكل) اختفيا ..

قال (بون) مطمئنًا :

ـ «لا تقلق .. هناك غرفة جانبية صغيرة للزوار المهمين ..»

قالت (جيل) همسًا :

ـ «(جوبال) .. لا أحب هذا .. يبدو أنهم قد رتبوا أن ينفرد الكاهن الأكبر بـ (مايكل) ..»

ـ «أنا على يقين من هذا ..»

ـ «لم لا ندخل ونأخذه ؟ أعتقد أنهم يحاولون ضمه لعقيدتهم ..»

قال (جوبال) وهو يضع بعض المايونيز على شطيرة :

ـ «لو حاولوا ضمه لعقيدتهم لانتهى الأمر وقد ضمهم لعقيدته .. إن نظرته الغريبة لكل شىء مربكة حقًا .. أما أنا فلن أترك هذه الوجبة المجانية ، وإلا لما استحققت أن أكون فى اتحاد الكتاب ..»

طال الانتظار وبدأت (جيل) تقلق .. لذا اتجهت إلى باب الغرفة وحاولت فتحه ، لتكتشف أنه مغلق بإحكام ..

قال (جوبال) لـ (بون) :

ـ «أرجو أن تسمح لنا بالانصراف ..»

ـ «لا توجد وسيلة للاتصال بالكاهن الأكبر إلا هاتفيًا .. لو كنتم مصرين ؟»

ـ «نحن كذلك ..»

هنا وفر عليهم (مايكل) الحرج ، إذ خرج من الغرفة الصغيرة ، وعلى وجهه تعبير أثار رعب (جيل) .. أدرك (جوبال) أن الكاهن الأكبر ليس فى الغرفة ، وإنما انصرف من باب خلفى لها .. فقال (بون) :

ـ «هذه عادة لدى الكاهن الأكبر .. أن ينصرف بلا وداع .. يقول إن كلمات الوداع لا تضيف شيئًا إلى بهجة الحياة .. بالمناسبة سيارة التاكسى تنتظركم عند نهاية الممر .. هذا سيوفر عليكم عشر دقائق ثمينة ..»

شكروه على هذه التجربة المثيرة ، وانصرفوا لا يلوون على شىء ...

* * *

14

لم يتكلَّم (مايكل) ولم يجب عن أية أسئلة .. فقط قال إنه بحاجة إلى بعض الوقت حتى يستوعب ..

هتفت (جيل) فى رعب :

ـ «(جوبال) .. كيف ينجو هؤلاء القوم بفعلتهم ؟»

ـ «أية فعلة ؟»

ـ «هذه ليست دار عبادة .. إنها مستشفى مجانين ..»

ـ «بالعكس .. هذه هى العقيدة الجديدة .. ما فعله (ديجبى) و(بون) هو أنهما استعملا آلاف الحيل العتيقة، ودهناها بلون معاصر براق، وهكذا صارا فى (البيزنس) .. وليس كأى (بيزنس) .. إنه يدر مالاً طائلاً .. إن هذه الرقصة الثعبانية التى رأيناها ما هى إلا تطوير لرقصات الهنود الحمر من أجل المطر .. كل ما أتمناه ألا أعيش حتى أرى نجاحهما المطلق، كأن تفرض الدولة هذه العقيدة على الجميع .. (هتلر) بدأ ببضاعة أقل .. لم يكن لديه ما يبيعه سوى الكره .. إن الكره يبيع جيدًا .. لكن الحب كذلك أفضل مبيعًا(*) ..»

* * *

(*) فى هذا الجزء مناقشة طويلة جدًا ـ وجريئة جدًا ـ عن الأديان بما فيها الإسلام والمسيحية .. وقد حذفتها غير آسف لأن مكانها ليس فى هذه السلسلة .

فى غرفته تكوَّر (مايكل) على نفسه فى الوضع الجنينى .. كان يعرف أن (جيل) لا تحب أن يفعل هذا، لكنه على الأقل يفعله بعيدًا عن العيون .. كان بحاجة إلى أن يفهم كل ما سمعه اليوم .. بحاجة إلى أن يتأمل .. لم يستطع قط فهم مصطلحات مثل (دين) وما إلى ذلك .. وكان بحاجة إلى التأمل وحده ..

بعد ساعات نهض من الفراش وغادر الغرفة ...

وجد أخاه المائى (جيل) لم ينم بعد .. وسرَّه هذا ..

اقترحت (جيل) أن تحضر له عشاء .. هناك دجاجة باردة فى الثلاجة، يمكنه أن يأكلها فى الخارج، فهى ليلة شتاء دافئة تعتبر صيفًا مبكرًا، وهو ما يسمونه (الصيف الهندى) .. هكذا جلسا فى الشرفة يرمقان السماء ..

هتفت وهى تشير إلى نجم بعيد :

ـ «(مايكل) .. هل هذا الضوء هو المريخ ؟»

ـ «هو المريخ ..»

ـ «ماذا يفعلون هناك الآن ؟»

فكَّر قليلاً، ثم قال :

ـ «الجانب الجنوبى ؟ يعلمون النباتات النمو .. بينما فى

الناحية الأخرى ينقلون الحوريات اللاتى لم يقتلها حرُّ الصيف إلى الأعشاش .. »

ـ « عزيزى (مايكل) .. هل تشعر بالحنين للوطن ؟ »

أمسك بيدها وقال :

ـ «نعم .. فى البدء كنت أشعر بكثير من الحنين للوطن .. لكنى الآن أعرف أنى لن أكون وحيدًا .. إننا .. أعرف هذا .. نقترب ... »

* * *

وهكذا جاء اليوم المحتوم حين جاء (مايكل) لـ (جوبال) وهو يتناول إفطاره يخبره أنهما قرَّرا الرحيل اليوم ..

غطى (جوبال) وجهه بالمنشفة بلا داع ؛ ليدارى لمحة خيبة أمل ، ثم قال :

ـ «تتكلَّم بصيغة المثنى .. من سيرحل معك ؟ »

ـ « (جيل) تأتى معى .. إننى بحاجة إليها فهى تعلمنى كل شىء .. ثم إنها بدأت تتكلم المريخية .. لهذا أرجو أن تسمح لى باصطحابها .. أعرف أن العالم مازال غامضًا بالنسبة لى ، ومازلت أرتكب أخطاء .. لهذا (جيل) مهمة لى .. وإلا اصطحبت (دوك) أو (لارى) البستانى .. »

ـ « هل تعنى أن لى الخيار ؟ »

ـ «طبعًا يا (جوبال) .. كلنا يعرف هذا .. »

ـ «لكن البيت مفتوح لك .. يمكنك العودة فى أى وقت .. »

ـ « أعرف هذا يا أبى ! »

ـ « هه ؟ »

ـ «لاتوجد لفظةُ (أب) فى المريخية ، لكنى استوعبت أنك أبى وأبو (جيل) .. »

نظر (جوبال) إلى (جيل) وقال :

ـ «ليكن .. لكن كونا حذرين .. »

ـ «سنفعل .. »

وفارقا المكان قبل أن يفارق هو مائدة الطعام ..

* * *

نهاية الجزء الأول

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

غريب فى أرض غريبة

53

هذا هو (فالنتين مايكل سميث) .. الرجل القادم من المريخ .. البرىء فى عالم متوحش .. الساذج فى دنيا مفعمة بالتعقيدات .. ما لا يعرفه هو أنه - قانونًا - المالك الوحيد لكوكب المريخ ، وما لا يعرفه البشر هو أنه سيغير وجه الأرض .. بفلسفته الغريبة .. بقواه غير المعهودة .. بسذاجته التى لا ترى العالم كما نراه ...

(روبرت هاينلاين) وأعلى القصص مبيعًا فى تاريخ أدب الخيال العلمى كله ..

العدد القادم (غرباء فى أرض غريبة) الجزء الثانى

الثمن فى مصر ٢٥٠ قرشًا
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مطابع

